اسرائيل والمياه العربية

عفيف البزري

اسرائيل والمياه العربيّة

دار الحقائق

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٩٨٤

الفهرس

الاهليلج الخصيب	٥
مياه فلسطين وما حولها	١٩
تاريخ الاطماع الصهيونية في المياه العربيه	١٥
انقلاب الظروف بعد الحرب	٣٣
تحويل الاردن الى النقب	٥١
التسابق الى منابع المياه	٥٩
مشاريع الري الاردنيه	٦٣
معركة المياه بين سوريه واسرائيل	٦٩
خرائط مختلفه	٧٤

الاهليلج الخصيب

يتألف القسم الآسيوي من الوطن العربي :

أولاً : من هضبة واسعة تشتمل على البلاد الشامية ومابين النهرين ، فتحدهما من الشمال جبال طوروس ، ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط وقناة السويس ، ومن الجنوب البحر الأحمر والجزيرة العربية ، ومن الشرق الهضبة الإيرانية . ويأخذ سطح الهضبة الشامية ـ العراقية على العموم ميلاً يسير من الشمال غرب إلى الجنوب شرق . وفي غربي هذه الهضبة يمتد انهدام كبير يتجه باتجاه شمال جنوب ويؤلف وديان العاصي والليطاني والأردن ووادي عربة الذي يتصل بانهدام خليج العقبة . وينخفض هذا الانهدام عند بحيرة لوط إلى أكثر من أربعمائة متر عن سطح البحر ، وهو أشد انخفاض في العالم . كما يمتد انهدام آخر في شرقي الهضبة ، يوازي الأول ، ويشكل وادي الرافدين ، وهو ينتهي عند شط العرب حيث يتصل بانهدام الخليج العربي . ويلاحظ أن مكامن النفط تتوضع على طول الانهدام الأخير : من جزيرة ابن عمرو ، إلى الموصل ـ كركوك ، فالبصرة ، ثم منطقة الخليج العربي . كما أنه غير بعيد عن جنوب الانهدام الآخر ، في سيناء ، وخليج السويس ، والبحر الأحمر ، ومنطقة الغردقة في مصر . نجد أيضاً مكامن غزيرة للنفط . مما يقوي احتمال قيام الهضبة الشامية العراقية ، مع شبه الجزيرة العربية ، على محيط من النفط .

ثانياً : الجزيرة العربية .

إن هاتين المنطقتين تتكاملان وتشكلان كتلة جغرافية واحدة . فالهلال الخصيب الذي يحيط بالأولى ، ويقوم حول وديان : الأردن ، والليطاني ، والعاصي ، ثم وادي الفرات والدجلة ، يتصل بهلال آخر معكوس يحيط بالجزيرة

العربية ، فيسير في أراضي الحجاز واليمن في الغرب ، ثم يستدير في جنوب الجزيرة إلى أن يصل إلى عمان ، ويصعد شمالاً في بلاد الخليج . ومناطق هذا الهلال هي الاهلة بالكثافة السكانية ، وإذا كان فرعاه في الشمال قليلي الأمطار ، فإن أقسامه الجنوبية ، في حضرموت واليمنين (اليمن وعمان) تقع في إقليم الأمطار الموسمية الغزيرة . ويشكل هذان الهلالان ، الهلال الخصيب وهلال الجزيرة العربية ، في الواقع ، اهليلجا خصيباً تقع فيه كثافة السكان ، وهو يحيط بالصحارى العربية : الربع الخالي ، والنفوذ الكبرى ، والشامية ، والحماد (أرض المراعي التي لاتنقصها إلا المياه لتكون صالحة للزراعة ، وفيها الرصافة وتدمر والقريتين والقلمون) .

وقد توضعت المدنيات الانسانية الأولى (إلى جانب مدنيات الهند والصين)على هذا الاهليلج الخصيب ، وفي وادي النيل ، خلال آلاف السنين ، بمختلف أوجه نشاطاتها المادية والروحية ، فكان دوماً (ولايزال) بموقعه يشكل مفترقاً للطرق العالمية ومنطقة للثروات . أما الامبراطوريات القديمة لمنطقة البحر الأبيض المتوسط ، فكانت تقوم فيه وفي وادي النيل ، أو أنها كانت تنجذب إلى هاتين المنطقتين . وعندما كانت واحدة منها تنشأ خارجه في البدء ، فإنها كانت سرعان ما تنجذب إليه وإلى وادي النيل ، لوقوع مركز ثقل الثراء والتقدم المادي عليهما : تركت مثلاً الامبراطورية اليونانية موطنها الأصلي بلاد اليونان المتطرفة ، لتقوم في سورية والعراق ومصر . أما الامبراطورية الرومية ، الأكثر تطرفاً في موقعها عند نشأتها ، فإنها لم تعش في إيطاليا كإمبراطورية أكثر من خمسة قرون ، ثم انجذبت نحو الشرق (نحو مركز الثقل) إلى القسطنطينية حيث استمرت بيزنطة إثني عشر قرناً .

وكانت الحركة العامة للأقوام ، في هذه المنطقة ، أو المنجذبة إليها ، تدور على الاهليلج الأنف الذكر . كما كانت وديانه وسهوله الخصبة طرقاً للقوافل ، وجيوش الغزو الكثيفة . وقد وقعت عليه معظم المعارك التاريخية الحاسمة . كما

خرجت منه دعوات التوحيد ، وكان المنطلق لاقامة دار الاسلام ، العقد الوسيط بين مشرق الأرض ومغربها ، وموطن الحضارة التي لاتميز بين الناس ، موطن الحضارة الحقة .

وفلسطين هي بوابة الاهليلج الآنف الذكر ، بالاضافة إلى أن موقعها يفوق موقع أي قطر من أقطاره . وماكان من الصدف أن بلغ الفينيقيون في صيدا وصور مابلغوه في صناعتهم وتجارتهم ، ومن الغنى ، فقد كانوا في الواقع يستندون إلى فلسطين ، « أرض اللبن والعسل » ، بما كان ينصب فيها من الثروات التي حملتها القوافل من مشرق الأرض ومغربها ، وبرها وبحرها ، على طرقات وثغور الاهليلج الخصيب . وهي أيضاً بوابة وادي النيل على آسيا . أما اليوم فهي البوابة إلى أرض الاحتياطي العالمي للنفط محرك حضارة العصر . وقد أرسل إليها المستعمرون مرتزقتهم الصهاينة ليغتصبوها من أهلها ويقيموا فيها إسرائيل ، كامتداد للنظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي ، ثم غدت ذراعاً للدولة العبودية العالمية ، الولايات المتحدة الأمريكية ، ممتدة إلى منطقة النفط ، في الاهليلج الستراتيجي الخطير المذكور . وهذه القاعدة الدولة يجب أن « تنتفخ » لتوازن (العرب) الذين تتنامى قواهم بمرور الأيام وتوالي تجاربهم (وإن كانت مرة) . ويجب أن تجعل من تصاعد حاجاتها إلى المعونات ، بتصاعد عدد المرتزقة فيها ، أمراً محتملاً يطيقه المستعمرون ولايؤدي إلى ضيقهم بها . فأول ماهي بحاجة إليه مع الأراضي التي تستمر بسلبها من أصحابها العرب ، بل قبل هذه الأراضي ، هو الماء . إنه ضرورة ملحة لحاجاتهم الخاصة ولاقتصادهم الذي يخططون له كي يكون إقتصاداً صناعياً متقدما . فالصناعة كالزراعة لاتقوم إلا بالماء ، وخاصة منها الصناعة البلاستيكية الحديثة التي أصبحت تأخذ حجماً يبلغ ثلثي حجم الصناعة الحديثة . لذلك وجدنا الصهاينة ، منذ وقت مبكر من قيام حركتهم يخططون لحرمان العرب من مياههم ، بالاضافة إلى العمل على التوسع في أراضيهم . فكل ينبوع ماء عربي يدلنا بدون

خطأ على الاتجاه المقبل للعدوان الاسرائيلي . فضم الجولان ، وسلسلة المستعمرات والمواقع التي يقيمونها في الأغوار على الأردن ، وبدئهم بضخ مياه الليطاني إلى الأرض المحتلة ، كل هذا من مخططهم العام الذي لن يقف حتى يخرجوا من فلسطين ، أو يحرمونا من مياهنا ، وبالتالي من وجودنا كأمة .

مياه فلسطين وما حولها

كل إقليم على سطح الأرض ينقسم إلى عدد من المناطق الهيدروغرافية ـ المائية ، بحيث تشكل مياه كل منطقة من هذه المناطق جملة مائية مترابطة لاينفصل بعضها عن بعض أبداً :

فالينابيع والأنهار والسيول والمياه الجوفية والآبار في منطقة هيدروغرافية واحدة ، تتأثر كلها بعضها بالبعض الآخر ، وترتبط ببعضها البعض بتضاريس الأرض وطبقاتها على حسب قوانين فيزيائية ـ يمكن تحديدها ـ بحيث تشكل جميعها كلاً واحداً لايتجزأ . والمساس بطرف من هذه الجملة لابد من أن يؤثر بكيفية ما بالأطراف الأخرى منها : حفر سلسلة من الآبار مثلاً واستثمارها يؤدي إلى جفاف سلسلة أخرى من الآبار في مكان قريب أو بعيد . وعند القيام بدراسة كاملة لهذه الجملة ، من النواحي الجغرافية والجيولوجية والفيزيائية نتمكن من اكتشاف قوانين ارتباطاتها وبالتالي ، اكتشاف الطرق الآيلة إلى التحكم بها ، وتتصل المناطق الهيدروغرافية بعضها بالبعض الآخر ، في الاقليم الواحد ، أوحتى في عدد من الأقاليم ، بما تشترك به من خواص جوية تقوم على النظام العام للأمطار والثلوج في الاقليم ، وبالأنهار السطحية والجوفية التي يمكن أن تجري من منطقة هيدروغرافية إلى أخرى .

إن الأمطار والثلوج الذائبة ، التي تتسرب مياهها في طبقات الأرض ، هي التي تغذي الينابيع والآبار . فحيث لامطر ولاثلوج توجد الصحارى . ونجد في فلسطين وما حولها عدداً كبيراً من المناطق الهيدروغرافية المختلفة الخواص . ويمكن تصنيفها في الفئات التالية :

أ ـ في فلسطين :

١ . **النقب** : وبالامكان اعتباره منطقة هيدروغرافية صحراوية واحدة ، لتشابه أحواله الجغرافية والجيولوجية .

٢ . السهل الساحلي ، ويقسم إلى قسمين بمرتفعات يعبد ـ أم الفحم ـ رأس الكرمل : الأول ، يمتد من رفح حتى حيفا ، والثاني ، يمتد من حيفا إلى الناقورة ، ويمكن أن نلحق به وادي مرج ابن عامر .

٣ . المرتفعات الداخلية التي تضم : مرتفعات الخليل ، والقدس ، ومثلث نابلس ـ جنين ـ طولكرم . وهذه المرتفعات التي تسير في اتجاه جنوب ـ شمال تدور عند جنين ، لتتجه رأساً الى الغرب وتشكل مرتفعات : يعبد ـ أم الفحم ـ رأس الكرمل ، مع ممر شهير تاريخياً هو ممر مجدو الذي يصل مرج ابن عامر بالسهل الساحلي جنوب حيفا .

٤ . مرتفعات الخليل .

٥ . خط الأغوار ويتضمن : سهل الحولة ، أغوار الأردن من طبرية والحمة إلى البحر الميت ، البحر الميت ، وادي عرابة الذي نعتبره ممتداً إلى خليج العقبة .

ب ـ الأردن ، وهذه الفئة الهيدروغرافية تشترك مع فلسطين بمناطق الأغوار : من جسر المجامع حتى العقبة . ونلاحظ فيها :

١ . المجرى السفلي لنهر الزرقاء الذي يرفد الأردن قرب جسر داميه .

٢ . المجرى السفلي لنهر اليرموك الذي يرفد الأردن قرب جسر المجامع .

٣ . مختلف السيول التي تهبط إلى الأغوار من المرتفعات الأردنية .

في سورية :

١ . الحرمون .

٢ . الجولان .

٣ . وادي اليرموك .

د ـ في لبنان :

١ . الحرمون .

٢ . وادي الحاصباني .

٣ . مرج العيون .

٤ . وادي الليطاني الأسفل .

إن المناطق الهيدروغرافية في فلسطين والأردن تقع تحت التأثير الشديد للصحارى العربية : سيناء ، والشامية ، والنفوذ الكبرى . وليس هنالك حواجز جبلية بارتفاع كاف تستقطر رطوبة الجو (الآتية بتيارات الهواء البحري) وتحولها إلى أمطار وثلوج . فنجد لذلك أن أمطارها لاتزيد عن ٦٠٠ مليمتر سنوياً . ولنأخذ بشيء من التفصيل المناطق السورية واللبنانية ، فنقول :

أولا ـ المناطق الهيدروغرافية السورية ـ اللبنانية وامتدادها إلى فلسطين :

يشكل الحرمون ، الذي يزيد ارتفاعه على ألفين وثمانمائة متر عن سطح البحر ، مع هضبة الجولان ، خزان مياه المناطق الجنوبية لبلاد الشام : الحوضة الدمشقية التي يسقيها مع بردى نهر الأعوج الذي ينبع من عرنة على سفح الحرمون ، حوران وفيها ينابيع وعرة الزاكية ونهر اليرموك ، وأغوار الأردن الذي ينبع من سفوح الجبل المذكور مع روافده . فمليارات أطنان الثلوج التي تتساقط على قمم جبل الشيخ ، والأمطار الغزيرة التي تنهمر على سفوح هذا الجبل وعلى هضبة الجولان ، والتي تتجاوز الألف وثلاثمائة مليمتر سنويا ، تتسرب كميات كبيرة منها ، بعد تغذية مياه السطح ، بعيدا في أعماق الأرض لتشكل المياه والأنهار الجوفية التي تغذي الينابيع المذكورة آنفا في بلاد الشام الجنوبية .

إن التقديرات الحالية لكميات المياه التي تنحدر أو تتسرب من المرتفعات الآنفة الذكر إلى وادي الأردن ، فتشكل أنهاره وعيونه ومياهه الجوفية وسيوله ، تصل بسهولة إلى مليارى متر مكعب سنويا . ويقدر الصهاينة المياه التي تسيل بانتظام

إلى نهر الأردن ، وذلك في مقترحاتهم ومشاريعهم المقدمة لمشاركة العرب بمياههم : مثل مشروع هايز ـ سافج المقدم عام ١٩٤٦ ، ومشروع جونستون المقدم عام ١٩٥٣ ، كما يلي ★ :

ـ ١٥٧ مليون متر مكعب لنهر بانياس ـ ينبع في سورية ـ .

ـ ١٥٧ مليون متر مكعب لنهر الحاصباني ـ ينبع في لبنان ـ .

ـ ٢٥٨ مليون متر مكعب لنهر دان ـ ينبع من تل القاضي في فلسطين ـ .

ـ ١٣٠ مليون متر مكعب من ينابيع متفرقة .

ويشكل هذا المجموع المياه المنتظمة للأردن قبل بحيرة طبريا ، ويساوي ٧٠٢ مليون متر مكعب سنوياً . وهو يصل بسهولة إلى أكثر من ٨٠٠ مليون متر مكعب إذا أضفنا إليه مايرده من مياه السيول . وهنالك نصف مليار متر مكعب تأتي سنويا من ينابيع في بحيرة طبريا ، منها ١٥٠مليونمتر مكعب من المياه العذبة من ينابيع في غرب البحيرة ، و ٣٥٠مليونمتر مكعب من المياه المالحة من ينابيعُ في شرقي البحيرة . وتضاف إلى ماسبق مياه نهر اليرموك مع رافديه : علان والرقاد ، البالغة عند المقارن نحو ٥٥٨ مليون متر مكعب ★ .

ثانيا ـ المناطق الهيدروغرافية اللبنانية هدف المطامع الصهيونية :

احتل العدو الصهيوني الشريط الحدودي في لبنان ، ووضع صنيعته الخائن سعد حداد حاكماً عليه . فسيطر بهذا على بعض سفوح الحرمون الغربية ، وعلى مرج العيون الغزير المياه . ولكن الصهاينة يوجهون أطماعهم الرئيسية إلى مياه الليطاني

★ الاستثمار الموحد لموارد المياه في وادي الأردن . تقرير تشارلز ماين . بوسطن ١٩٥٣ . ص ٧ . وهذا التقرير لايتضمن الرقم الأخير للينابيع المتفرقة وهو ١٣٠ مليون متر مكعب .

★ المرجع السابق .

الغزيرة ، التي يمكن أن تزودهم بأكثر من مليار متر مكعب من المياه . فيضاعفون بهذا طاقاتهم المائية : للحاجات الشخصية ، وري الأراضي ، والمتطلبات الصناعية الحديثة .

وينبع الليطاني من رأس العين قرب بعلبك ، ويصب في البحر الأبيض المتوسط ، على بعد تسعة كيلومترات شمالي صور . وطوله ١٤٥ كم . وتغذيه من منبعه إلى مصبه أضخم مصادر مياه المنطقة الشامية : ينبع من سفوح جبال المنيطرة المتفرعة عن الجبال المحتوية أعلى ذرى جبال لبنان الغربية :
القرنة السوداء (٣٠٨٨ م) ، والأرز (٣٠٦٩ م) ، وظهر القضيب (٣٠٢٩ م) ، الذرى التي تغطيها مليارات أطنان الثلوج في شتاء كل عام . ويساير سفوح جبال صنين ، فالباروك . ثم يستدير ويتجه غرباً عند مرتفعات أرنون ـ الشقيف ، ويبدل اسمه عندئذ فيسمى « بالقاسمية » ، ويصب في البحر أخيراً . وفي أثناء جريانه هذا ، تنهال عليه ملايين الأمتار المكعبة من مياه السيول الموسمية وعيون السفوح المحيطة به ، وترفده الروافد الغزيرة التي من أهمها البردوني الشهير . وقد أقامت الحكومة اللبنانية عند القرعون سداً على هذا النهر ، وتكونت بحيرة القرعون وراء هذا السد . وهذا المشروع لم يفد إلا لتوليد الطاقة الكهرمائية دون الافادة منه لري الأراضي ، وسنعود إلى هذه المسألة مرة أخرى فيما يلي من البحث .

تاريخ الأطماع الصهيونية في المياه العربية

يقول بن غوريون : « . . . إن اليهود يخوضون اليوم مع العرب معركة المياه ، وعلى مصير هذه المعركة يتوقف مصير اسرائيل . وإذا لم ننجح في هذه المعركة فإننا لن نكون في فلسطين . .) ★١

ولننظر فيما يلي إلى « تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين » ، المقدم إلى مؤتمر الصلح بتاريخ ٣ شباط ١٩١٩ ، وهو يتضمن المطلقات التي تتفق عليها مختلف التيارات في الحركة الصهيونية ، لتقوم هذه الحركة فيما بعد في التوسع في الوطن العربي ، بمختلف الوسائل . ونجد فيه بكل وضوح لايحتمل أي جدل الأطماع الصهيونية بالمياه العربية ، وذلك بتعابير وحجج لامثيل لوقاحتها . فالصهاينة في مطالبهم لايغفلون فقط حق الشعب الفلسطيني بأرض وطنه ، وإنما يغفلون أيضاً حاجة بقية العرب حول فلسطين إلى الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي . فهم لايودون أن يروا في الماء إلا هدفاً هم يساعدهم على البقاء لخدمة أغراض الاستعمار كمرتزقة . وبقي أن نقول أن منشىء هذا التصريح هو هربرت صموئيل اليهودي الانجليزي الصهيوني ، الذي كان أول مفوض سام لبريطانيا في فلسطين يؤسس للبناء الصهيوني في هذا القطر العربي . الذي تحول فيما بعد إلى إسرائيل بمساعي نظام القهر العالمي . وكان بعمله هذا يقوم بوظيفة الحكم الموفق بين مختلف التيارات الصهيونية الانفة الذكر ، بتكليف من حكومته البريطانية . وقد تبنته المنظمة الصهيونية العالمية التي تضم ممثلي تلك التيارات . يقول التصريح ★٢: « إن حدود

★١ من خطاب لبن غوريون في تل أبيب عام ١٩٥٥

★٢ ورد في « إسرائيل الكبرى » للدكتور أسعد رزوق . ص ٤٠١ ومايليها .

فلسطين يجب أن تسير وفقاً للخطوط العامة المذكورة أدناه : تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطىء البحر الأبيض المتوسط بجوار مدينة صيدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل إلى جسر القرعون ، فتتجه منه إلى البيرة ، متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في خط جنوبي متتبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ (الحرمون) حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي إلى الغرب منه .

« وفي الشرق يحدها خط يسير بمحاذاة الخط الحديدي الحجازي وإلى الغرب منه حتى ينتهي في خليج العقبة .

« وفي الجنوب حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية .

« وفي الغرب البحر الأبيض المتوسط .

« أما تفاصيل تخطيط الحدود ، أو أي تعديلات تفصيلية لها تستدعيها الضرورة ، فسوف تسوى بواسطة لجنة خاصة يتمثل اليهود فيها . . . إن الحدود المرسومة أعلاه هي ما نعتبره جوهرياً للأساس الاقتصادي الضروري للبلاد . وفلسطين يجب أن يكون لها منافذها الطبيعية للبحار **والسيطرة على أنهارها وعلى منابع تلك الأنهار** . ولقد جرى رسم معالم الحدود على أساس اعتبار الحاجات الاقتصادية العامة والتقاليد التاريخية للبلاد . وهي اعتبارات يتحتم على اللجنة الخاصة أن تراعيها حين تقوم بتعيين الحدود ورسم خطوطها المضبوطة . كما يجب على هذه اللجنة أن تتذكر بأن من المرغوب فيه جداً لمصلحة الادارة الاقتصادية ، جعل المساحة الجغرافية لفلسطين أكبر ما يمكن ، بحيث نستطيع فيما بعد استيعاب عدد كبير من السكان ينعمون بالرخاء ، ولكي يصبح بمقدورها أن تتحمل أعباء الحكومة العصرية المتمدنة ، أكثر مما يتحمله بلد صغير محدود السكان بالضرورة . وتعتمد الحياة الاقتصادية لفلسطين ، كشأن أي بلد نصف جاف آخر ، على كميات المياه المتوفرة ، لذلك يصبح من الأهمية الجوهرية بمكان ، **ليس فقط تأمين**

جميع موارد المياه التي تغذي البلاد حتى الآن ، بل القدرة للمحافظة والسيطرة عليها عند منابعها . إن جبل الشيخ (الحرمون) هو « أب المياه » الحقيقي لفلسطين ، ولا يمكن فصله عنها دون توجيه ضربة قاصمة إلى جذور حياتها الاقتصادية بالذات . وهو لا يحتاج فقط إلى إعادة تحريج وتشجير ، بل أيضاً إلى أعمال أخرى قبل أن يصبح مؤهلا ليكون خزان مياه البلاد . لذلك يجب أن يخضع كلياً لسيطرة اولئك الذين تحدوهم الرغبة الشديدة ويملكون القدرة الكافية لاستغلال إمكاناته حتى أقصى الحدود . كما يجب التوصل إلى إتفاق دولي تحمى بموجبه حقوق المياه للشعب القاطن جنوبي نهر الليطاني (أي اليهود في فلسطين الكبرى) حماية تامة . إذ أن منابع المياه هذه ، فيما لو حظيت بالعناية اللازمة ، تستطيع تنمية لبنان مثلما تخدم تنمية فلسطين . إن السهول الخصبة الواقعة إلى الشرق من نهر الأردن كانت ، منذ أقدم أيام التوراة ، مرتبطة اقتصادياً وسياسياً بالأرض الواقعة غربي نهر الأردن . وهذه البلاد ، الضئيلة السكان حالياً ، سبق لها إعالة أعداد ضخمة من السكان أيام الرومان . ويمكنها أن تصبح اليوم بصورة مدهشة حقلاً للاستعمار التوطيني على نطاق واسع . ثم أن المراعاة العادلة للحاجات الاقتصادية لدى كل من فلسطين وشبه الجزيرة العربية تتطلب إعطاء حكومات الطرفين الحق في حرية الوصول إلى سكة حديد الحجاز على طول امتدادها : إن التنمية الكثيفة للزراعة وغيرها من الفرص والمرافق الموفورة في شرقي الأردن تحتم أن يكون لفلسطين منفذ على البحر الأحمر وفرصة لانشاء موانىء جيدة على خليج العقبة . فالمرافىء التي يجري تطويرها في هذا الخليج يجب أن تكون مرافىء حرة تمر بها تجارة البلاد الداخلية على أساس المبدأ نفسه الذي اهتدينا به في اقتراحنا إعطاء حق حرية الوصول إلى سكة حديد الحجاز » . انتهى تصريح المنظمة الصهيونية .

ولم تستجب جميع المطالب الصهيونية الواردة في التصريح أعلاه ، بسبب تنافس الاستعمارين : الانجليزي والفرنسي ، على التوسع في أراضي المشرق

العـربي . فبقيت الينـابيـع الأسـاسيـة للميـاه العـربيـة في الأراضي التي كسبهـا الفـرنسيـون : الحـرمـون (جبـل الشيخ) ، الذي سماه الصهاينة أعلاه « أب المياه الحقيقي لفلسطـين » ، بقي منـاصفـة بين سوريـة ولبنـان ، والليطـاني مع الينابيع الغـزيـرة لمرج العيـون في لبنـان . ولكن الصهـاينـة عندما وقعت فلسطين ببراثنهم باحتـلال الانجليـز لها عملوا بكـل ماتوفر لديهم من وسائل « ناجعة » على منع كل استثمار كثيف منظم للميـاه العـربيـة ، قبل أن تتاح لهم الفرص لاغتصابها كلها . وكانوا في هذا يقصدون أهدافاً استراتيجية ضخمة :

ـ إن التقـدم الاقتصـادي العـربي في البـلاد الشـامية حول فلسطين ، الذي يمكن أن ينشأ عن زراعـة حديثـة تستنـد إلى ري منتظم ، وتقـوم قبـل تمكنهم من القطر العربي المذكور ، هذا التقدم يؤدي إلى تصاعد القوة العربية بازدياد تكاثف السكـان (لاسيما حول مشاريع الري الكبرى) وارتفاع سويتهم المادية ، أي إلى تصاعد إمكاناتهم في مقاومة الغزو المبيت .

ـ أمـا في فلسطـين ، فتقـدم الـزراعـة فيهـا ، بمشاريع ري كبرى ، يمنع تسـرب أراضيهـا إليهم ، بازدياد القوة المادية للعرب أصحابها ، وتعاظم كثافتهم . وتصاعد مقاومتهم .

لتلك الأسبـاب وجـدنـا الصهـاينة يسرعون منذ شهر أيلول عام **١٩٢١** إلى وضـع يدهم على « البـوابـة » التي تنفـذ منهـا المياه الغزيرة إلى السهول الخصبة في فلسطـين ، والسهـول الخصبـة في الأردن التي وصفهـا تصريحهم أعلاه بأنها « كانت تعيـل أعـدادا ضخمـة من السكان أيام الروم » . فاستصدروا قانوناً يمنحهم امتياز روتنـبرغ لاقـامـة مشـروع لتـوليد الكهرباء في الظاهر في المجامع ، عند تجمع مياه الأردن باليـرمـوك ، وفي الواقع لمنع كل مشروع زراعي عربي على الضفتين يمكن أن يستفيد من مياه الأردن للري . وكانت حجتهم ضرورة بقاء منسوب كاف لادارة العنفـات الكهـربـائية للمشروع المذكور . وكان قصدهم تجميد الأمور إلى أن تحين

فرصتهم باغتصاب فلسطين ومياهها ، ومياه ماحولها . تقول الآنسة ء . م . غواشون في كتابها الصادر تحت عنوان « الماء قضية حيوية لمنطقة الأردن » ★ : « ويبدو أن بريطانيا لم تعر مسألة الري أي إهتمام ، رغم أن محادثات الصلح أظهرت ضرورتها كما ذكرنا ، ومن المؤسف أنها لم تفكر إلا في الكهرباء . فقد منحت سلطة الانتداب عام ١٩٢٦ ولمدة سبعين عاماً ، امتياز الاستخدام الكامل لمياه اليرموك والأردن إلى « شركة كهرباء فلسطين » المسماة أيضاً امتياز روتنبرج ، باسم مديرها الصهيوني . وتم ذلك باستهتار مدهش ، ودون مراعاة لأوضاع البلاد ، أو للسكان ، أو لكمية المياه ، وبعد أن رفضت إعطاءه لعربي من بيت لحم . وبدون ريب لم يكن المهم سوى الحصول على قوة كهربائية كان من الممكن نظرياً الاستفادة منها في الزراعة ، غير أن شركة كهرباء فلسطين ظلت المتحكمة الوحيدة بكمية المياه التي ترغب في تخزينها أو تصريفها . وقد امتد الامتياز إلى شرقي الأردن في عام ١٩٢٨ عندما كان هذا القطر مايزال تحت الانتداب . . . وكانت شركة كهرباء فلسطين تجيب دوما ، كلما طلب منها ماء (للري) ، بأنها هي في حاجة للماء . فسلطة الانتداب لم تبد أية رغبة بري غربي نهر الأردن أو شرقيه . وكانت تقول أن شركة روتنبرج ربما احتاجت يوماً لكامل المياه . وكان الامتياز الممنوح لها يشمل كل المياه الجارية من جميع أنحاء حوض الأردن ، شرقاً وشمالاً وغرباً ، لدرجة أنها لم تفكر بتعويض للسكان المجاورين للنهر ، وإذا روى أحد الملاكين أرضاً جديدة بعد تاريخ منح الامتياز ، فليس له الحق بأي تعويض فيما إذا قطعت عنه الشركة الماء . ففي الوقت الذي لم يكن هنالك أية صعوبة سياسية لتحقيق مشاريع الري ، كان هذا

★ إصدار مركز دراسات مسائل العالم الاسلامي المعاصر في بروكسل في ٣٠ نيسان ١٩٦٤ وترجمة العميد يوسف يازجي تحت عنوان « تحويل الأردن معركتنا الفاصلة مع إسرائيل » ص ٢٣ ، ٢٤

الأمر مستحيلاً بسبب الامتياز الممنوح لروتنبرج . وعلى الرغم من الخطر المفروض على الهجرة الصهيونية إلى شرقي الأردن ، فإن الصهاينة كانوا يشرفون بروتنبرج ويتحكمون في تطوير البلاد . ولم تكن الشركة المذكورة تتحكم فقط بأفضلية استخدام المياه ، وإنما استقرت أيضاً في نهاريم عند التقاء نهر اليرموك بالأردن ، وبنت قسماً من منشآتها على الضفة الأردنية ، واستخدمت بحيرة طبريا كخزان خاص لها منذ آذار عام ١٩٣٢ ★[١] » .

انتهى قول الانسة غواشون .

وماكان من باب الصدفة أن يصدر قانون مصلحة الليطاني عام ١٩٥٤ لاستثمار وادي هذا النهر ، فتتأخر الدراسات اللازمة فلا تبدأ إلا بعد اثني عشر عاما من ذلك التاريخ ، فلا تبدأ إلا في الفترة مابين عامي ١٩٦٥ و١٩٦٦ . وليس هذا فحسب ، فحتى يومنا هذا ، أي بعد ثلث قرن من الاقرار الرسمي للاستثمار المذكور . نجد أن مانفذ هو فقط الشق الكهرمائي من المشروع ، مع قناة ري صغيرة تروي ألف هكتار من أصل ثلاثين ألف هكتار في مخطط الاستثمار المذكور للجنوب اللبناني ، مع عشرة آلاف ونيف لجنوب البقاع . وقد دمر العدو الاسرائيلي مع ذلك هذه القناة الصغيرة ، التي كان اسمها قناة القاسمية ، بغاراته الجوية ★[٢] .

نقول ما كانت هذه الأمور « العجيبة » في الظاهر من باب الصدفة ، وإنما كان العدو وراءها عن طريق أقنيته ومؤثراته المختلفة : عن طريق الخونة والعملاء المتسكعين على أبواب السفارة الأمريكية في بيروت ، والرجعية التي تعطي آذانها همسات المستعمرين ، والانتهازيين ، والجهلة ، والمرتشين إلخ . . فيقول مثلاً أحد

★[١] هذه الأمور تناولها عدد كبير من الباحثين نذكر منهم مجلة الجمعية الملكية الآسيوية في موضوع التنمية المائية في فلسطين وشرقي الأردن ١٩٤٦ تحت عنوان « الليطاني نهر الأزمة » .

★[٢] انظر مجلة « الشراع » العدد ١٦ لعام ١٩٨٢ . تحت عنوان « الليطاني نهر الأزمة » .

مهندسي المشروع لمندوب مجلة « الشراع » الآنفة الذكر رداً على سؤاله مايلي : « إن مايمنع تنفيذ المشروع يعود إلى أسباب سياسية . . . والسبب الرئيسي أن السلطة تعتبر إسرائيل حاجزا في وجه المشروع . وقد ذكر لنا الوزير السابق كمال خوري (وهو رئيس مجلس إدارة مصلحة الليطاني) أنه حصلت عام ١٩٧٣ مناقشة صحافية مع غولدا مئير رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك ، والتي كانت تعلن عن حاجة إسرائيل إلى المياه اللبنانية التي تذهب هدراً إلى البحر . . . » .

ونجد هنا في مشروع الليطاني أن الأمر توقف عند توليد الطاقة الكهربائية ، وأن البيروقراطيين القائمين على هذا المشروع يمنعون الناس من الاستفادة من مياه بلدهم ، حتى في الحالات التي تكون فيها الفائدة جماعية تشمل منطقة أو قرية أو ماشابه . وقد أورد مقال مجلة « الشراع » الانف الذكر أمثلة على هذا الأمر . تماماً كما كان يحدث أيام قيام مشروع روتنبرغ المار ذكره أعلاه ، الذي اقتصر أيضاً على توليد الكهرباء ، وبحجتها كان القائمون عليه يمنعون الناس من أبناء قومنا من الاستفادة من مياه نهر الأردن ، بانتظار الوقت الذي تمكنوا فيه من اغتصاب فلسطين ومياهها وينابيع هذه المياه مع أراضيها التي تنبع فيها . فنقول إذن أن الخطر على الليطاني هو خطر جدي ، وأن محاولات العدو لتحقيق أغراضه هنا ليست وشيكة ، وإنما هي قائمة في الواقع باحتلاله للشريط الحدودي هناك ★ ، وبسعيه للتقدم في أرضنا أكثر فأكثر ، وبعمله الدائب بمختلف الوسائل لمنع وتخريب كل مشروع يمس المياه التي يطمع فيها .

إن العرب ماكانوا أبداً يهدرون مياههم . ففي الوقت الذي كان فيه أجداد الصهاينة الخزر ، مع أجداد من يقف ورائهم اليوم ويجندهم في مشاريع عدوانه ،

★ وضعت هذه الدراسة قبل قيام إسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢ واحتلالها كل الجنوب اللبناني حتى بيروت .

يهيمون على وجوههم في الصحارى الجليدية المقفرة ، كان أهل الاهليلج الخصيب ، في اليمن ، وعمان ، والشام ، ومابين النهرين ، وأهل وادي النيل ، يقيمون السدود العظيمة ، ويحفرون الأقنية الكبرى لري الأراضي بطول مئات الأميال ، أو يوجهونها إلى المدن للارتواء في مختلف الظروف الطبيعية أو الطارئة . ويكفينا دلالة أن نشير إلى أقنية النيل ، والجملة المعقدة لأقنية دمشق ومنطقتها . ومختلف أنظمة الرى على العاصي ، والشبكة المعقدة لأقنية حلب القائمة تحت المدينة الخ . . . وليست هذه أقنية رومانية ولا يونانية ، كما هو شائع خطأ ، وإنما من تخطيط مهندسين محليين وتنفيذ صناع مهرة من أقوامنا التي سبقت الروم واليونان إلى المعرفة النظرية والعملية بعشرات القرون . وقد أتى هؤلاء متأخرين ليتعلموا منهم ، وينسجوا على منوالهم في سد حاجاتهم الطارئة . كما استمرت في عهودهم الأيدي العربية والفكر العربي في الابداع في كل مجالات الحياة ، ومنها مجال هندسة الري . وقد مكنهم فهمهم العميق والواسع لقوانين فيزياء السوائل من ابتكار حلول لمختلف مسائل الهندسة المائية تبلغ حد الروعة في جمالها ورشاقتها ، لافي مجال الري وماشابه فحسب ، بل في المجالات الأخرى ، ولاسيما منها استخدام الماء كقوة محركة . إن التدمريين مثلاً عرفوا قوانين ضغط الماء قبل باسكال بعشرات القرون ، كما عرفوا تنظيم الحركة بعطالة كتلة الماء . فتمكنوا من إدارة الطواحين الثقيلة بمجار ضعيفة الغزارة وغير منتظمة السيلان ، بمنشآت هندسية لامثيل لجمالها في فكرة تصميمها . ثم أن « القنواتي » لقب شائع ، من قديم الزمان حتى يومنا هذا ، في أقطار الاهليلج الخصيب المحدد أعلاه ، وفي وادي النيل ، أكثر من أي قطر آخر في العالم . وهندسة الري هي في الواقع هندسة عربية محضة في أصولها وأسسها . فيها تغلبت أقوامنا على جفاف الصحراء ، وبنت عليها حواضرها العظيمة التي ازدهرت وأشعت بنورها على الانسان خلال ألوف السنين . وكان العهد الاسلامي من أبرز عهود التاريخ ، فقد انتشرت فيه الحضارة ، وارتفعت سوية الناس المادية في كل

أرض حل فيها . وذلك على عكس مافعل النظام الرأسمالي الذي نشر التحلف والفقر بنهبه وقهره للانسان أينما وصل من بلاد العالم . وكانت هندسة الري من المجالات التي بلغ فيها المسلمون شأواً عظيماً . فكانت مثلاً أنظمة الري التي بنوها في اسبانيا من عجائب الدنيا في ذلك العصر . والرياضي ـ الفيزيائي العربي أبو الحسن بن الهيثم ، كان أول من وضع دراسة علمية لتنظيم جريان النيل ، في مطلع القرن الحادي عشر ميلادي ، بإقامة سد على النهر كسد أسوان . كما اقترح وصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر بقناة تمر بالنهر .

إن مشاريع الري واستعمالات المياه بأنواعها تتطلب رساميل ضخمة كانت بمتناول مجتمعاتنا العربية ، قبل أن يقوم النظام الرأسمالي الوحشي في العالم ويأتي لقطع أرزاقها وتجميدها ، بسد سبل الحياة التي ارتادوها طوال ألوف السنين عندما كانوا يجوبون بقوافلهم أقطار العالم وبحاره . ثم يأتي المرتزقة الصهاينة في النهاية ، ومن ورائهم ، أسيادهم المستعمرون ، ليسلبونا أرضنا ومياهنا بحجة أننا « نفقر الأرض ونضيع المياه » . . . ولكن لابد من استرداد ثرواتنا ، وفي مقدمتها نفطنا ودولاراته ، كي لاتضيع هذه المياه . وقبل هذا ، لابد من تنظيف العملاء والرجعيين الوثنيين كما فعل الاسلام ، للتقدم بعد ذلك لالحاق الهزيمة الحاسمة بأعداء الانسان الصهاينة والامبر باليين الأمريكان أسيادهم . ونقول للمستعمرين : إن مانمر به اليوم من تجارب مريرة تضعوننا فيها ، وماتذيقوننا إياه من العذاب ، له وجهه الآخر وهو المدرسة التي ستهدينا في النهاية إلى طريق الخلاص : بقهركم ، والقضاء عليكم ، وتخليص العالم من شروركم ، « فكل آت قريب » .

وكان الصهاينة أيام الانتداب ، والأيام التي تلت النكبة إلى اليوم الذي استولوا فيه على ينابيع الأردن في الجولان ، أثناء سعيهم لتجميد وتخريب كل مشروع ري يستفيد منه العرب ، في فلسطين وما حولها ، يعملون على إنجاز

الأمرين التاليين :

أولاً : إتمام الدراسات ووضع المخططات لانجاز مشروع مائي بالغ الضخامة يتضمن شقين : توليد الكهرباء بكميات هائلة ، واستعمال المياه ، في مختلف الأوجه المعروفة .

ثانياً : انجاز المشاريع الفرعية للري ، مع كل مايمكن من مشاريع تمهيدية ، هي كلها في الواقع تشكل أجزاء من الخطة العامة لمشروعهم الضخم الآنف الذكر . وهذه المشاريع هي (انظر المخططات الملحقة بهذا البحث) :

- مشروع الحولة لتنظيم مياه الأردن وتجفيف بحيرة الحولة .
- مشروع بيسان لري الأراضي ، وهو يستند إلى بحيرة طبريا .
- مشروع الجليل الغربي لاستثمار مياه مرتفعات الجليل بعد حصرها وتنظيمها .
- مشروع البركون ـ النقب ، ويمتد من تل أبيب إلى بئر السبع ، ويستثمر مياه الضفة الغربية التي تنحدر نحو الساحل .
- مشروع الأردن ـ النقب ، وهو الشق الكبير من المشروع العام ، وسنتكلم عنه بشيء من التفصيل فيما يلي من البحث .

ومنذ ماقبل الحرب العالمية الثانية ، وفي أثنائها ، بدا للعيان ضعف الامبراطوريات الاستعمارية الأوربية القديمة ، وصعود الامبريالية الأمريكية الحديثة . فهرع الصهاينة ، على عادتهم ، إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ليكشفوا وجودهم فيها ، ويعرضوا على سادة الاحتكار هناك خدماتهم « المفيدة » في المنطقة النفطية العربية ، ذات القيمة الستراتيجية الهائلة من كل الأوجه . وكان اولئك السادة اليانكي قد تسللوا باحتكاراتهم النفطية إلى العربية السعودية ، كما كانوا يدأبون بالسعي إلى المزيد (على حساب الامبرياليين القدماء) . فطلب الصهاينة في عام ١٩٤٣ . بطريق الوكالة اليهودية ، إلى المدير المساعد لمصلحة

صيانة التربة في الولايات المتحدة الأمريكية « ولتر كلاي لودرميلك » أن يقوم بوضع دراسة سابقة له لأراضي فلسطين موضع التطبيق العملي فيجملها بمخططات لبرنامج تنفيذ في المستقبل ★ . وكان هذا قد زار فلسطين في عام ١٩٣٩ كخبير في صيانة التربة ، وقام بتلك الدراسة فيها ، وقد خيل إليه حينذاك أن هذا القطر العربي يشبه كاليفورنيا في الري والطاقة . ولعل أساس هذا التشبيه ، الذي انتقده وعارضه عدد من العلماء والمختصين ، هو كل ما كان يعتلج في عقله الباطن من رغبة في تحويل فلسطين بالمرتزقة اليهود إلى إمتداد للنظام الاستعماري المقبل الذي كانت تخطط له دولته . فكاليفورنيا كانت من مرابع الهنود الحمر الذين أبادهم أجداد هذا الخبير المتوحش . وكان كتابه الذي أجمل به دراسته المذكورة ، والذي عنونه بعنوان « فلسطين أرض الميعاد » ، يدل على أن هذه الدراسة لم تقتصر على موضوع التربة الذي دعي من أجله لزيارة فلسطين ، وإنما شملت أيضاً التعرف على اولئك المرتزقة وتقييمهم ، ورؤية أحوال الشعب العربي الممزق المقهور بشتى أنواع القهر ، ورسم الطريق إلى إبادته كما أبيد هنود كاليفورنيا . فالآنسة غواشون تقول ★★ : « إنه كتاب « رؤى » كما قيل في وصفه . . . ولايتكلم المشروع مطلقاً عن سكان ضفاف الأردن الذين لن يتلقوا بعد الآن قطرة من مياه نهرهم . . . ويستمر لودرميلك فيقول : إذا وجد العرب أنه من غير المستحب لديهم السكن في أرض مصنعة (وبعبارة أخرى : إذا وجد العرب أنه من غير المستحب لديهم أن يكونوا أجراء في معامل الصهاينة : من عندنا) فسوف يتمكنون بكل سهولة من الاقامة في السهل الرسوبي العظيم لوادي الدجلة والفرات ، حيث تكفي مصادره لعدد كبير

★ انظر بحث « الماء قضية حيوية لمنطقة الأردن » للآنسة غواشون ، المار ذكره آنفاً . ص ٤٠ وما يليها .

★★ المرجع السابق .

من المهاجرين . . . » . انتهى قول غواشون .

إن كتاب لودرميلك يشكل على كل حال فصلاً أساسياً من فصول « التلمود المعاصر » للصهاينة ، التلمود الذي نجد أفكاره العدوانية في كل مايكتبون ويطرحون ، ونجد تطبيقه العملي في تصميمهم على السير في تحقيق أهدافه بقدم لاتتزحزح إلا بمقدار ماتتزحزح الأثقال الرهيبة للاستعمار العالمي عن صدر وكاهل الأنام . فهذا الخبير لايتكلم في بحثه المذكور في الأمور الهندسية ، التي كانت مهمته الأساسية ، بقدر استفاضته في أمور سلب العرب أوطانهم وتشريدهم ، وإحلال مرتزقة الخزر المتهودين مكانهم ، فقد خصص عشرة فصول ، من خمسة عشر فصلاً يتضمنها كتابه للتعريف بفلسطين وما حولها ، وللأوهام التاريخية التي نسجتها الصهيونية حول قدماء اليهود الذين أتوا إليها ، و« للامكانات المتوفرة فيها للهجرات الكثيفة » ، « وتغنى بعبقرية اليهود ونظرتهم الصائبة ، وقال بأن الأرض (وهو يعني فلسطين والأردن) يمكن أن تستوعب أربعة ملايين مهاجر ، بالاضافة إلى ماكان فيها حينذاك من سكان . . . وتبنى الصهيونيون تقديراته هذه التي تخدمهم كثيراً ، ونظموا الهجرة على أساسها ، ولم يكن ذلك سوى هذيان غريب اعتبر كشيء مسلم به . . . » ★ .

وقد خصص بضعة صفحات لمشروع التنظيم الكهربائي ، واستنار على العموم ، فيما يخص الأعمال الهندسية ، بما قامت به هيئة « وادي التنسي » في الولايات المتحدة الأمريكية من تخطيط وتنفيذ لمشاريع ذلك الوادي . فاقترح لذلك البدء ، قبل كل شيء ، بإقامة « هيئة وادي الأردن » ، على غرار الهيئة الأمريكية المذكورة ، لتشرف على كل نشاط يتعلق بالماء والكهرباء في فلسطين وما حولها (المناطق التي كانت تحتلها حينذاك الجيوش البريطانية التي غزت سورية مع

★ « الماء قضية حيوية » الآنف الذكر .

الـديغـوليين قبل ذلك بعامين) . وكانت الأسس التي تقوم عليها ، بصورة عامة ، مختلف نشـاطـات « هيئة وادي التنسي » . والتي اقترح لودرميلك أن تهتدي بهديها « هيئة وادي الأردن » كما يلي ★ :

أولا : مركزة كل الأعمال بالهيئة ، وجعلها في مشروع واحد ضخم .

ثانيـا : الاشـراف والتحكم بجميـع مصـادر المياه : الأنهار وروافدها ، والينابيع ، والسيول ، والآبار ، والمياه والأنهار الجوفية ، والبحيرات .

ثالثا : تنظيم توزيع المياه لمختلف الاستعمالات .

رابعـاً : القيـام بكـل ما يلزم من أعـمال لتنظيم موارد وصـرفيات المياه بإقامة السدود على الأنهـار ، ومجـاري السيـول الـرئيسيـة ، مع إنشـاء بحـيرات التخـزين وغـيره : كان مثلاً في وادي التنسي ٣٢ سداً رئيسياً ، منها تسعـة على النهـر ، و٢٣ على روافـده والسيـول المنحدرة إليه ، كما أقيمت البحيرات الكبرى في الجنوب لتخزين المياه .

وكان وادي الأردن يتضمن حينذاك الامكانين الأساسيين التاليين :

ـ بحيرة طبريا كخزان ممتاز للمياه .

ـ الأغـوار التي يبلغ انخفـاضهـا عنـد البحـر الميت مقـدار ٤٠٠ متر تحت سطح البحر ، الأمر الذي يسمح بتوليد كميات هائلة من الكهرباء بقناة تأتي من البحر القـريب من تلك الأغـوار ، وهـذا بالاضـافـة إلى استثـمار الأمـلاح المعـدنيـة العديدة .

وينقسم مشروع لودرميلك إلى شقين ، :

الأول : تحويـل مياه نهر الأردن الأعلى ، ونهـر الـيرموك ، ووادي الزرقاء ، لارواء سفوح الوادي ، ومرج ابن عامر وبيسان ، والجليل ، وبئر السبع ، والنقب .

★ الموسوعة بريتانيكا مجلد ٢١ ص ٩٣٦ . إصدار عام ١٩٦٥ .

الثاني : قناة توليد الكهرباء ، وهنا تبرز ثلاثة إمكانات فنية :

ـ قناة حيفا ـ طبريا ، فيها سبعة أميال مكشوفة ، مع نفق بطول عشرين ميلاً عبر مرتفعات شفا عمرو ، فسهل البطوف ، فطبريا . وهذا الحل مكلف ، ويعطل بحيرة طبريا كخزان للمياه العذبة ، وفرق الارتفاع فيه أصغري بالنسبة إلى المناطق الأخرى من الأغوار : إنخفاض البحيرة عن سطح البحر نحو مائتي متر ، وهو نصف إنخفاض البحر الميت .

ـ قناة حيفا ـ البحر الميت ، وهي طويلة ومكلفة ، وبالامكان أن تتبع في سيرها أقل المسارات كلفة : من نقطة على البحر شمال حيفا إلى نقطة مأخذ الوادي على خط الصفر (عن سطح البحر) الواقعة إلى شرق العفولة ، ثم تساير هذا الخط إلى الغرب من بيسان وتستمر حتى مشارف البحر الميت ، دون أن تضيع من إرتفاعها بحيث تحافظ على طول مسارها ، وحتى نهايتها ، على إرتفاع يقرب من أربعمائة متر عن سطح بحيرة لوط ، مع بقاء مياه البحر تجري فيها بالراحة .

ـ قناة من منطقة غزة إلى البحر الميت ، وهو ماتقوم بتنفيذه حالياً إسرائيل .

وميزة المشروعين الأخيرين هي في الحصول على فرق إرتفاع أعظمي هو : مايقارب إنخفاض بحيرة لوط عن سطح البحر . ثم الاحتفاظ ببحيرة طبريا كخزان للمياه العذبة . ونجد في النتيجة : أن الشق الأول من المشروع « يخلي » مساحات واسعة من الأغوار من سيلان المياه العذبة المحولة إلى مناطق أخرى من فلسطين والأردن (يهاجر إليها اليهود) ، لتأتي المياه المالحة (لقناة توليد الكهرباء المؤلفة للشق الثاني من المشروع) وتغمر تلك المساحات .

وتقول جريدة نيويورك تايمز في ٢١ آذار ١٩٤٤ ★ : « بما أن التحريات التمهيدية قد تمت أمس ، فإن المخططات قد أصبحت متبناة وستوكل إلى « هيئة

★ « الماء قضية حيوية » الأنف الذكر ص ٥٣ .

وادي الأردن » لتنفيذها . وبطلب من قادة الحركة الصهيونية خططت مشاريع لبناء سدود على نهر الأردن وتحويل مياهه ، وحفر قناة بطول ٩٥ ميلاً من البحر الأبيض المتوسط حتى البحر الميت . وبناء مركزين كهربائيين عظيمين ، وهذا المشروع يسمح بالحصول على الطاقة الكهرمائية بسعر زهيد ، وعلى عدة محاصيل في العام من الأراضي المروية الجديدة . وهذا مايسمح بزيادة الهجرة اليهودية المحدودة حالياً . ويمكن فتح أقنية إلى شرقي النهر ، غير أن مياه النهر ستذهب إلى الغرب لري سهول شمال فلسطين ومرج ابن عامر والسهل الساحلي وشمال النقب » . انتهى قول الصحيفة .

وانتقلت الصهيونية إلى ميدان جمع وسائل التنفيذ ، فسعت إلى جباية الأموال اللازمة للمشروع : بدفع سلطات الانتداب في فلسطين إلى رصد ميزانيات له ، ودعوة المنظمات اليهودية إلى المساهمة بتكاليفه ، وعقد القروض المختلفة ، وأسست لهذا الغرض منذ شهر آذار عام ١٩٤٣ شركة تموّلها أموال خاصة ، كما قامت لجنة مراقبة لفلسطين يمولها الصهيونيون هناك . ★ ونلاحظ أن هذا النشاط قام في ذات الشهر الذي نشرت فيه جريدة نيويورك تايمز مقالها الذي اقتطفت منه العبارات المارة أعلاه . وهذا أمر يدل بوضوح على أن الحملة في أشد ظروف الحرب حسماً تركزت على أمريكا لامن أجل تحقيق مشروع لودرميلك وجمع الأموال اللازمة له فقط ، وإنما أيضاً لتحقيق السبق إلى كسب ود الامبريالية الصاعدة ، وتشديد اهتمامها بخدمات الصهيونية لها ، بإبراز كل مايمكن للصهيونية من أن تكون قوة حاسمة في المنطقة ، وكل مايضعف العرب ويسهل إقتراب مجتمعاتهم من الزوال من فلسطين وما حولها . وليس هناك ما يثير اهتمام إحتكاريي أمريكا كما يثيره مثل هذا المشروع . فتنفيذه بكليته يوفر « هيكلاً عظمياً » قوياً تقوم

★ المرجع السابق .

عليه (لاسمح الله) قوة للمرتزقة الصهاينة ربما كفتهم للسيطرة في كل **المشرق** العربي ، وليس فقط من الفرات إلى النيل ، فيما إذا ظل العرب سادرين في جاهليتهم ، القائمة حالياً على مزيج من الخيانة ، والرجعية الوثنية عابدة المال ، والانتهاز والدجل . لقد قدم الصهاينة هذا المشروع إلى المستعمرين الأمريكان وهم يصفونه بأنه « صمم بخطوط جريئة وخيال مبدع » . وكان الاحتكاريون الأمريكان حينذاك يعملون على توطيد وجودهم في المنطقة « فيرمون بأنظارهم » إلى العربية السعودية واحتياطيها البتر ولي الهائل ، إلى جانب الاحتياطات البترولية الأخرى في الخليج . فلم يتأخروا في تشديد نشاطاتهم الاستعمارية هنا . فشاركوا مثلاً البريطانيين في لجنة للتحقيق في فلسطين . وقد رددت هذه اللجنة في تقريرها مقترحات الصهاينة فيما يتعلق بمشروع لودرميلك ★

ورأى الصهاينة ضرورة تعميق وتوسيع الدراسات الهندسية في مشروع لودرميلك . فقام « سافاج » بتقديم تقرير يقترح فيه إدخال مياه الليطاني في المشروع المذكور ، وكان ذلك في شهر نيسان **١٩٤٥** . وتبعه رئيس المهندسين في لجنة المراقبة الأمريكية الصهيونية لفلسطين ، المار ذكرها أعلاه ، جيمس هايز . وقدم هذا تقريراً مفصلاً حول ري شامل لفلسطين ، مع تنمية القوة الكهربائية ، إلى اللجنة الأنجلو ـ أمريكية المار ذكرها آنفاً في **٢٦** شباط **١٩٤٦** . وكان برفقته آنذاك ، لدعمه ، رئيس لجنته عمانوئيل نيومان . « فالمشاريع كانت تصمم وتوضع في قوالبها في الوسط الصهيوني الأمريكي ★★ » .

وقامت في عام **١٩٤٣** شركة صهيونية خاصة ، تسمي نفسها « لجنة مياه

★ نشر تقرير اللجنة المذكورة في جريدة نيويورك تايمز في أول مايس ١٩٤٦ ، وفيه ملخص عن المشروع .

★★ الآنسة غواشون في بحثها « الماء قضية حيوية » ص ٥٥ .

فلسطين » ، مع بعض المهندسين اللبنانيين ، بدراسة حوض الليطاني . وقد انتهت هذه الدراسة إلى تقرير : أن لبنان لايمكنه استخدام مياه هذا النهر بكليتها . فتبقى من هذه المياه كمية يمكن تحويلها إلى فلسطين . وعلى هذه الدراسة استند سافاج الآنف الذكر في إدخال مياه الليطاني في المشروع العام للودرميلك .

لقد أراد الأمريكان أن يشمل التوسع الصهيوني أراضي شرقي الأردن ، ليزداد بالتالي طول ذراعهم في هذه المنطقة . وكان هذا مصدر قلق منافسيهم الامبر ياليين الاخرين الانجليز ، الذين أسرعوا إلى إعلان ، « أن مياه الأردن وروافده لاتكفي للتوسع الذي اقترحه لودرميلك . فقد كان هذا الأخير قد كتب العبارات التالية التي يظهر فيها « غيرته » على وحدة الأراضي ، ومعارضته « لانتهاك علم الجغرافيا » الذي كان على مايبدو يحبه حباً جماً كما يحب تشريد العرب واستبدالهم بالمرتزقة الخزر ، خدمة لأسياده احتكاريي بلده . فهويقول : « إن شرقي الأردن حسب مايقال عنه هو منطقة طفيلية (كذا . . .) ، وأن هيئة وادي الأردن ستكون ممتازة بالنسبة لليهود الموجودين حالياً ولليهود الذين يريدون المجيء من أوربا . غير أن تأسيس شرقي الأردن كدولة منفصلة ليس في مصلحة العرب ، ولا اليهود ، ولا الأرض . إن هذا انتهاك لوحدة المنطقة الجغرافية ، وفي تقديرنا نحن الجغرافيين (ماشاء الله . . .) والمهندسين ، والمزارعين ، والاقتصاديين ، وكل ذوي النوايا الحسنة نجد أنه لامبر ر لفصل شرقي الأردن عن فلسطين الكبر ى » ★ ونحن أيضاً نتمنى من كل قلوبنا عدم فصل شرقي النهر عن غربيه ، ولكن بدون المرتزقة الخزر المتهودين الصهاينة .

وهكذا نرى : أن الصهاينة الذين عملوا على تجميد كل مشاريع المياه للري طوال فترة الانتداب ، كي لاتستفيد منها الكثرة العربية ، وهم أقلية ضئيلة قبل

★ المرجع السابق ص ٥٧ .

تكـاثـرهم بورود المزيد من أفواجهم بالهجرة ، أخذوا يكثفون دراساتهم ، **ويلحون** بعرض مشاريعهم ، للري والكهرباء ، الواحد تلو الآخر ، بعد أن تزايد **عددهم** ، وأتت أمريكا ، الدولة الامبريالية الحديثة تساندهم .

انقلاب الظروف بعد الحرب

قلنا أن الصهاينة ، في ظروف الحرب العالمية الثانية (التي أنهت الطور الرأسمالي الاحتكاري القائم على عدد من الامبراطوريات العالمية المتناحرة ، لصالح إمبريالية متعددة الأطراف موحدة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية) اتجهوا نحو هذه الأخيرة التي بدت حينذاك حامية النظام الرأسمالي العالمي وملاذه الأخير . فكثفوا مساعيهم لانتهاز ظرف ضعف بريطانيا ولجوئها إلى قوة أمريكا في الصراع الذي كانت تخوضه ، وانتهاز الظرف الآخر أيضاً وهو وقوع بلاد الشام جميعها تحت الاحتلال البريطاني ، نقول للاستفادة من كل تلك الظروف في دفع أمريكا لتضغط على إنجلترة لتمكنهم هذه من نهب المياه العربية من منابعها . لذلك برز مشروع لودرميلك ، والمشاريع الأخرى المتممة في تلك الأيام ، مع النشاط المحموم للصهاينة لوضع تلك المشاريع (الآتية كلها من أمريكا ، من جهات صهيونية ، وجهات رسمية) موضع التنفيذ ، بعد أن سكتوا طول فترة الانتداب ، عندما لم تكن كل المياه التي تصب على فلسطين أو في جوارها تحت سلطة واحدة تحابيهم ، وعندما كانوا أقلية ضئيلة جداً .

لقد كان الصهاينة على عجلة من أمرهم (ومازالوا وسيبقون دوماً) ، فلايرون العالم وسير التاريخ إلا من زاويتهم البالغة الضيق . فأمريكا ماكان بإمكانها ، بين ليلة وضحاها ، توحيد الرأسماليين وبناء امبراطورياتها العالمية الموحدة بزعامتها . فطريقها إلى هذا الهدف معقد كما برهنت الأيام على ذلك ، وكانت بحاجة إلى الاقلال ماأمكن من العقبات . فإذا كانت قد وجدت في الصهيونية أفضل حركة لتجنيد نوع من المرتزقة يلائم الامبريالية الحديثة (لتجنيد مرتزقة إستيطان يبيد ويشرد ويقهر الشعوب) ، فيتوفر لها بهم قاعدة قوية في

المنطقة ، فإنها كانت في ذلك الوقت مضطرة لأن تسير في هذا الأمر على طريق يلائم مخططاتها . وماكان من مصلحتها إعلان الحرب باكراً على حليفتها بريطانيا ، التي كانت تدرك تماماً حينذاك أهدافها وترى بوضوح منافستها فتعمل لذلك ، سراً وعلانية ، على عرقلة مشاريعها ، كي تبقى أطول مدة ممكنة في المنطقة . ومن جهة أخرى كان على المستعمرين الأمريكان أن يصبروا على الاستعمارين البريطاني والفرنسي ، كسدين مؤقتين على طريق تنامي الحركة الوطنية العربية ، المدة الكافية لارساء مرتكزاتهم وقواعدهم . كما أنه ماكان في مصلحتهم إعلان الحرب على العرب سلفاً قبل أن تترسخ أقدامهم في منطقتهم ، وقبل أن تستفيد منهم أيضاً عندما تأزف الساعة لطرد البريطانيين والفرنسيين من كل أراضي الوطن العربي ، لتأتي هي « لملء الفراغ » . كما وقع بالفعل في أعقاب طرد كلوب من الأردن ، ثم إفلاس الفرنسيين والانجليز في أعقاب حرب السويس ، ووضعهم اليد على ثروات إيران البترولية بعد أن أسقطوا حكم مصدق الوطني في إيران .

لم تؤد مساعي الصهاينة إلى أية نتيجة فيما يخص الوصول إلى مصادر المياه حول فلسطين ، للأسباب الانفة الذكر . وقامت دول مستقلة في الأقطار العربية المحيطة بفلسطين ، في أعقاب الحرب العالمية الثانية وتوزعت مصادر المياه الآنفة الذكر بين سورية ، ولبنان ، والأردن . ووقع على الأخص « أب مياه فلسطين » ، كما يسمي الصهاينة جبل حرمون ، برمته ، مع الجولان في سورية ولبنان ، ثم وقعت النكبة وقامت إسرائيل . وامتد الكفاح المسلح للعرب من فلسطين ، ليشمل مصر وسورية والأردن ، التي غدت حدودها هدف العدوان المستمر من قبل إسرائيل . وأخذ سعي الصهاينة للوصول إلى المصادر العربية للمياه شكلاً جديداً حاولوا من خلاله الحصول على إعتراف الدول العربية بكيانهم في الأرض المغتصبة من خلال شركة مياه تقوم بينهم وبين كل من سورية ، والأردن ، ولبنان . وكانت وسائلهم في هذا ، إلى جانب الابتزاز بالضغط المستمر على الحدود العربية

بهجماتهم العدوانية ، تستند أساساً على العون الاستعماري الأمريكي للاحاطة بمجتمعاتنا ، وإحتواء تقدمها ، بنشر عدم الاستقرار فيها ، على غرار ماكانت (وماتزال) تفعله الولايات المتحدة في دول أمريكا اللاتينية . فكانت تلك الدولة مثلاً ، تحت مختلف الأقنعة ، والتظاهر بالبراءة الكاذبة ، والحياد الخادع ، تعمل بأساليبها الماكرة على إثارة التوتر بين مختلف الفئات الاجتماعية ، وتحيك المؤامرات لقطع الطريق على كل ديمقراطية صحيحة تسمح للجماهير بالاستعداد لما يبيت لها من ضربات وكوارث للتوقي منها وردها . وكانت الرجعية ، من جهة تعمل لخدمة مخططات هذا الاستعمار الوافد بدافع من عقيدتها بأنها جزء من نظامه العالمي ، وذلك بغض النظر وتناسي ماسببه ويسببه لأمتنا من محن وكوارث . كما كانت ، من جهة ثانية ، تسهل ، بمسلكها وتصرفاتها المشينة ، مهمة الانتهازيين والدجالين ، بمختلف أشكالهم وألوانهم ، في جر كتل الجهال لتفرض علينا ساحات يقتصر فيها الكفاح فقط على محاربة الاستعمار الغارب ، بدلاً من توجيه « العناية » أيضاً إلى الاستعمار الاخر الذي كان يقبل بوسائل وأساليب لم يرلها تاريخ القهر مثيلاً (بدلاً من توجيه الانتباه إلى الاستعمار الأمريكي) . بل أن أولئك الانتهازيين كانوا يأخذون بيد الاستعمار لادخاله في المنطقة ، « لملء الفراغ ، على اعتبار أنه « ليس إستعماراً » . . . وأنه يحارب الاستعمار القديم . . . نعم لقد كان الامريكان يعملون على تهديم الامبراطوريات الاستعمارية القديمة ، وتكنيس أنقاضها لبناء إمبراطوريتهم العالمية الموحدة . ولايحتاج هذا الأمر إلى مواهب إستثنائية لرؤيته ، فهو ظاهر للعيان بكل جلاء . ولكن الدجالين الذين تسترو ا بمحاربة الاستعمار القديم الذي أذاق أمتنا ماأذاقها من ألوان العذاب طوال قرون عديدة ، تغاضوا مع ذلك عما كان ينتظرنا على يد الجديد الذي كان يهيىء لنا ما نحن فيه حالياً من قهر وسلب للأوطان وإمعان في تمزيق الشمل . ولانستطرد هنا من باب التزيد بالقول واللغو الذي يخرجنا عن موضوعنا الأصلي الذي هو « إسرائيل والمياه العربية » .

فنحن هنا في لب الموضوع وجوهره . وقد سبق أن أشرنا إلى أن مشاريع إسرائيل في الري والكهرباء تشكل الهيكل العظمي القوي الذي لاقيام لها بدونه ، كما أنه لاكيان لنا معه في هذه المنطقة . فحوله تدور رحى المعركة الرئيسية بيننا وبين العدو الاسرائيلي . وقد تمكن هذا العدومن كسب شق هام من تلك المشاريع . إلا أنه ماتزال أمامنا كل الفرص لاسترداد مافقدناه ، وستأتي هذه الفرص إن شاء الله باجتماع شملنا لدحر الامبريالبين اليانكي وطردهم من منطقتنا ، لنعود أحراراً في « فراغنا » الذي سوف لن « يزحمنا » فيه أحد من الطفيليين .

مشروع جونستون

إن المغزى الاستعماري لهذا المشروع نجده في حيثياته في العبارتين التاليتين : « إن بعض نواحي المشروع قد يكون تنفيذها في حكم المستحيل مالم تجر تسويات سياسية . وإن الحدود الوطنية القائمة حالياً تجعل من غير اليسير والمستطاع إستغلال مصادر المياه لحوضي اليرموك والأردن إلا إذا تم التعاون بين الدول ذات العلاقة » .

ويتضح هنا أن المشروع كان يرمي إلى إنتزاع إعتراف بإسرائيل من العرب بإقامة تعاون بينهم وبينها في شركة لاستغلال مياه وادي الأردن .

ويجب أن نشير أيضاً ، إلى جانب هذا ، إلى هدف آخر خطير للصهاينة وهو : تمكينهم ، كشركاء ، من التدخل في شؤون الوادي المذكور مبدئيا . وعندما نأخذ بعين الاعتبار عدوانية الصهاينة وأطماعهم التي لاتقف عند حد ، والتي يتكشف تصاعدها في كل مسلسل تاريخهم العدواني في فلسطين (المسلسل الذي لم يتوقف حتى يومنا هذا) نجد أن المشروع المذكور لم يكن إلا مدخلاً ، لاإلى الوادي المذكور فحسب ، وإنما إلى الوطن العربي بكليته ليحققوا « باستسلام الأنظمة العربية » ماعملوا دوماً (حتى اليوم) على تحقيقه بالحروب العدوانية : ليحققوا التوسع الذي

لانهايـة له في أرض هذا الـوطن . ولكن ماذا تعني كلمـة « وادي » من النـاحيـة الطبوغرافية المائية .

قد ينسـاق الفكـر بهذا التعبير إلى المجرى الرئيسي للنهر ، وضفتيه ، والمنحدرات المطلة عليه . والواقع يشكل وادي النهر منطقة هيدروغرافية واحدة ، تقوم على جملة مائيـة مترابطـة ، تشمـل كل مصادر المياه من الأمطار والثلوج التي تغذي : النهر ، وروافـده ، وتفـرعاته الطبيعية ، والسيول التي تصب عليه وعلى روافده وتفرعاته ، والينـابيـع ، والآبـار ، والميـاه الجـوفية ، والأنهار الجوفية . ويحده « خط توزيع المياه المحيطي » الـذي تتسـاقط عليه الأمطار والثلوج فتنقسم عندئذ إلى قسمين : قسم ينحـدر إلى الـوادي أو يتسرب في طبقاته الجيولوجية ، وبالتالي يغذي جملته المائية . والآخـر يذهب إلى خارجـه . وهـذا الخـط يختلف عن خطوط توزيع المياه الداخلية التي تغـذي بكليتهـا جملة الـوادي المـائية . فوادي الأردن مثلاً يتضمن مبدئياً وديان الـروافـد بأجمعها : الحاصباني ، وبانياس ، ودان ، واليرموك ، والزرقاء . أما خط توزيـع الميـاه الخـارجي هنا فيحيط : بالنصف الجنوبي لجبل الشيخ (المحدد تقريباً بخـط توزيـع الميـاه المتـوسـط المـار بأعلى قممـه والمنحـدر على سفحيـه الشـرقي والغـربي) ، وبـالجـولان ، ووعـرتي الـزاكيـة واللجـاة ، والسفـوح الغربية لجبل العـرب ، وسهـــول حوران ، ومـــرج العيـون في لبنـان ، وسهـل الحـولـة مع كل المنحـدرات المطلة عليـه ، والـوادي بين الحولة وطبريا ، وطبريا مع كل المنحدرات المطلة عليها ، والأغوار بين طبريا والبحر الميت مع كل المنحدرات المطلة عليها من الشـرق والغـرب . ويضـاف إلى هذا وادي الـزرقـاء المحـدد بخطي الـذرى على طرفيـه ، من منـابعـه في منطقـة الـزرقـاء إلى مصبه في نهر الأردن قرب دامية ، ومع روافـده أيضـا والسيـول المنصبـة عليـه (فعجلون الخصبة وسهول ومنحدرات إربد على الأغـوار ، كلهـا من وادي الأردن من النـاحيـة الطبوغرافية ـ المائية) . ثم إن الليطاني في لبنان أدخل في المشروع العام لاستثمار المياه في دراسات لاحقة .

وهنا نفهم جيدا معنى شركة مياه « وادي الأردن » التي عرضت لتقوم بيننا وبين إسرائيل . إنه الأسلوب الأزلي للمستعمرين الرأسماليين الاحتكاريين المرابين ، قبل إنتهائهم إلى الحسم بالقوة عند الحاجة : إختلاق حقوق كاذبة بالغش القائم على الاصرار في تكرار عرض واحد لايتغير ، بصور وأشكال مختلفة لخداع الضحية . فنجد مثلا ، فيما ترمي إليه تلك الشركة في مياه الأردن ، ذات المطالب في الأراضي العربية ، المطالب التي صاغها هربرت صموئيل في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وتبنتها المنظمة الصهيونية العالمية لتقدمها إلى مؤتمر الصلح المنعقد في باريس في ٣ شباط ١٩١٩ . وقد أعطينا صورة عن هذه « المقترحات » في مطلع هذه الدراسة . ثم إن مشروع لودرميلك ومتمماته بمقترحات سافاج وهايز ، يتضمن في الجوهر ذات الشيء . أما الشكل الأخير الانف الذكر فقد صيغ بلغة الاستعمار الأمريكي الحديث : ظاهره الرحمة وباطنه العذاب الأليم ، البدء بشركة ، والانتهاء « بطرد » الشريك العربي الأضعف المستسلم (ليذهب ، بحسب تعبير لودرميلك الذي مر معنا أعلاه ، إلى « الوادي الخصيب فيما بين النهرين ، عندما لايعجبه العمل كأجير في معامل ومزارع الصهاينة .

وتدفق سيل المشردين من شعبنا الفلسطيني الذي ترك أعزلاً أمام الضباع الصهاينة الذين ارتكبوا فيه مايعرفه القاصي والداني من مذابح . وكان هذا جرحاً مزق القلوب في أمتنا ، فتصاعد الغضب إلى أقصاه في جماهيرها في كل أقطارها . وكان جزء كبير من هذا الغضب موجهاً إلى الأنظمة المتفسخة ركائز الاستعمار . وقد خشي المستعمرون الأمريكان مغبة مارتكبوه ، وخافوا على تلك الأنظمة من الانهيار قبل الأوان الذي يكونون فيه قد أعدوا « البدائل » الجيدة التي تخدم أغراضهم بشكل أفضل من أولئك الرجعيين الحمقى . فخشوا ، على الأخص ، من قيام أنظمة وطنية تقود معركة حقيقية ضدهم وضد امتدادهم الاسرائيلي ، في الوقت الذي ماكانوا فيه قد أتموا إرساء كل القواعد اللازمة لامبراطوريتهم العالمية .

فأخذوا يطرحون المسكنات ، وينشرون السراب الخادع هنا وهناك ، بمختلف مشاريعهم التي لاتؤدي في النتيجة إلا إلى الزيادة في تشديد قبضتهم علينا ، وزيادة تدخلهم في شؤوننا ، أو إلى لاشيء ، إلى مجرد خداع . فأقاموا مثلا مؤسسة غوث اللاجئين بواسطة الأمم المتحدة ، بعد أن اتخذوا كل الاحتياطات الادارية والمالية لتعمل هذه المؤسسة بحسب مشيئتهم ومخططاتهم . وأسسوا مشاريع النقطة الرابعة للتغلغل في الشؤون الداخلية لبلادنا . وقاموا ببعض دراسات الري في القطر الأردني (الذي توجه إليه معظم سيل المشردين من شعبنا الفلسطيني) ، كمشروع « بونجر » للنقطة الرابعة ووكالة الغوث ، الذي انهار في النتيجة تحت ضغط الصهاينة ، وقال الملك حسين في « تأبينه » العبارة التالية : « ليس من المعقول ان يجعلنا العالم الحر نتخلى عن هذا المشروع الداخلي البحت الذي سمح لاكثر من مائة الف لاجيء اعتبارا من عام ١٩٥٦ ، وهم من فقدوا اراضيهم ومساكنهم بسبب الاسرائيليين ، أن يكسبوا معاشهم ويستعيدوا كرامتهم » ★ . انتهى قول الملك حسين . ولكن الشعب الفلسيطني لم يفقد ابدا كرامته كي يكون بحاجة الى استعادتها ، بل على العكس من هذا القول ، فان الذي فقد كرامته منذ ان قام كيانه على اشلاء من قتلهم وقهرهم من البشر ، من هنود حمر وسمر ، وافارقة ، واسيويين ، وعرب ، هم اولئك العبيد لشهواتهم ووحشيتهم الذين يسمون انفسهم بالاحرار ، وكذلك مرتزقتهم القتلة الذين جندوهم لذبح وتشريد اهلنا العزل في فلسطين .

واتت الفرصة المناسبة لجر الانظمة العربية الى مشروع مياه تشترك فيه مع اسرائيل . فاوعزت الولايات المتحدة الاميركية الى وكالة غوث اللاجئين بالمبادرة لتقديم دراسة شاملة لري وادي الاردن واستثماره ، وذلك دون استشارة او اعلام

★ قلق دائم . ص ٢٨٥ وردت العبارة في بحث غواشون الآنف الذكر

آحد من الاطراف ذات العلاقة . فكتب مدير الوكالة المذكورة ، « لسلي كارتر » الذي وقع فيما سبق على الاتفاقية المتعلقة بمشروع « بونجر » الآنف الذكر ، الى « هيئة وادى تنسي » في اواخر عام ١٩٥٢ بالطلب التالي : « دراسة فصل الوجوه لاستخدام المياه لصالح المنطقة فقط ، دون الاخذ بعين الاعتبار الحدود السياسية القائمة ★★ . وكانت الهيئة الاميركية المذكورة على اطلاع تام على كل الدراسات السابقة ، ولا سيما منها دراسات لودرميلك ، وسافاج ، وهايز التي ساهمت فيها كما سبق ان رأينا في هذا البحث .

وانطلاقاً من الدراسات السابقة : تقارير ايونيدز عام ١٩٣٩ ، ولودرميلك ١٩٤٣ ، وسافاج ١٩٤٥ ، وهايز ١٩٤٥ ، ١٩٤٩ ، وكلاب ١٩٤٩ ، ومكدونالد ١٩٥٠ ، وبونجر ١٩٥٣ ، ودون دراسات ميدانية قدمت مؤسسة مهندسي بوسطن بإدارة المهندس تشارلز ماين بحثاً بعنوان : التنمية الموحدة لموارد الماء في منطقة وادي الأردن ، وذلك في آذار ١٩٥٣ . وكان هذا البحث ، كما هو مفهوم ، تحت إشراف « هيئة وادي تنسي » التي كان يرأسها حينذاك « جوردون كلاب » ، الذي ضمن هذا البحث في كتاب له . ويتضمن البحث الذي سمي « مشروع ماين » ، وفيما بعد جونستون ، أحد عشر فصلاً هي : الموضوع والقواعد ، وموجز ، وصفات المياه في المنطقة ، المياه الموجودة ، الأراضي القابلة للزراعة وحقوق الماء ، مشروع تنمية موحدة للوادي ، القدرة المائية ، مشروع المقارن ، نتائج التنمية الموحدة ، التكاليف النهائية ★ .

ويتضمن المشروع الأعمال الهندسية التالية :

١ . خزان على الحاصباني مع منشآت للقوة الكهربائية في لبنان .

★★ غواشون ص ٩٩ .

★ المرجع السابق ص ١٠٠ .

٢ . قناة تجمع مياه أنهار بانياس ، ودان ، والحاصباني ، في شمال فلسطين ، تروي سهل الحولة وأرض بحيرته المجففة . ثم تنحدر عبر الجليل من جسريل إلى بيسان ، وهي تروي الأراضي التي تمر بها .

٣ . تقسيم مياه اليرموك بين قناة ري للغور الشرقي ، وقناة أخرى تحويلية تصب في بحيرة طبريا . فيقام لذلك خزان في العدسية يفيد أيضاً في توليد قوة كهرمائية . ويرفع أيضاً السد على بحيرة طبريا لتخرج قناة لري الغور الغربي المحتل وغير المحتل . ومياه هذه القناة تأتي من : اليرموك بزيادة « حصة إسرائيل » منه بمقدار يعادل مايلزم لري الأراضي غير المحتلة من الغور الغربي ، ومما يبقى من مياه الأردن الآتية إلى طبريا من سهل الحولة .

٤ . سد في المقارن بارتفاع ٥٨ متراً في المرحلة الأولى ، ثم ٩٥ متراً في المرحلة الأخيرة . مع قناة ومحطة لتوليد الطاقة الكهربائية .

وقد وزعت مياه الأردن واليرموك بالشكل التالي ★ :

١ . لسورية ٤٥ مليون متر مكعب لارواء مساحة ثلاثين ألف دونم .

٢ . للأردن ٧٧٤ مليون متر مكعب لارواء ٤٩٠ ألف دونم .

٣ . لاسرائيل ٣٩٤ مليون متر مكعب لارواء ٤١٦ ألف دونم .

إن الأرقام المعطاة في هذا التوزيع هي أرقام كاذبة ، كانت الغاية منها إيهام العرب بأن الأردن يحصل على أكبر كمية من المياه . وما يفهم من المشروع بالذات ينبئنا بأن القطر الاردني لايحصل إلا على قسم من مياه اليرموك ، مع مياه الزرقاء ، وشيء من بقايا مياه الأردن (في أيام الأمطار) . يضاف إلى هذا أن هنالك ١٥٠ مليون متر مكعب تنبع في بحيرة طبريا . فإذا أخذنا حصة سورية وهي ٤٥ مليون متر مكعب ، وهي بطبيعة الحال مياه تأتي من بانياس ، نجد أن مايبقى لاسرائيل

★ المرجع السابق .

من مياه الوادي السطحية المنتظمة يزيد على ـ ٨٠٠ مليون متر مكعب (انظر الاحصائيات التي أعطيناها في مطلع هذا البحث ، وهي من مصادر صهيونية) . ويجب أن نضيف إلى هذه الكمية الكميات الغزيرة الأخرى التي تأتي من المياه الجوفية ومن مياه السيول الشتوية الغزيرة . وعندما قدم المشروع إلى السلطات الأمريكية ، عين الرئيس ايزنهور اريك جونستون ، وهو إحتكاري أمريكي يرأس عدداً من الشركات في بلده ، ممثلاً شخصياً له برتبة سفير . وقام هذا المبعوث بعرض المشروع المذكور على كل من لبنان ، وسورية ، والأردن ، وإسرائيل . وبهذه المناسبة أصبح المشروع يسمى « مشروع جونستون » . « وعاد اريك جونستون في ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٣ إلى الشرق مرة ثانية . وكان هدفه الأول **توطين اللاجئين ، والتقريب بين العرب وإسرائيل ليقوموا بالعمل المشترك** ★ » . وتوطين اللاجئين يعني بطبيعة الحال إبعاد الفلسطينيين عن أرض وطنهم نهائياً . وكان يعني أيضاً في تلك الأيام الالتفاف حول قرار الأمم المتحدة بحق اولئك « اللاجئين » بالعودة ، والسعي إلى إلغاءه من الناحية العملية .

والذي يسترعي الانتباه هو : أن جونستون الذي كان يرأس الشركات في بلده ، وشغل هناك مركز رئيس غرفة التجارة ، ومركز رئيس المجلس الاستشاري الدولي ، سبق أن كان في عاصمة القطر الأردني مدير وكالة التعاون الفني . ومثل هذه النشاطات المتنوعة التي مارسها في بلده وفي المناطق الحساسة في العالم ، تكون في العادة غطاء لنشاطات العملاء الكبار في المكتب المركزي للمخابرات الأمريكية (سي . آي . أي) ، الذي كان في ذلك التاريخ حديث التشكيل وفي بدايات نشاطاته الهدامة في العالم . وكان هذا المبعوث « الفني » لايتأخر في المناسبات عن استعمال لغة مكتب المخابرات الآنف الذكر . فعلى أثر شكوى سورية إلى مجلس

★ المرجع السابق .

الأمن مثلاً ، تتعلق بانتهاكات ارتكبتها إسرائيل لاتفاقية الهدنة ، تمس الأرض المجردة في سهل الحولة ، وانتهاك حق سورية بمياه النهر لارواء أراضي البطيحة ، ألقى جونستون في كانون أول عام ١٩٥٣ محاضرة بالراديو الأمريكي (سي . بي . إس) قال فيها : « إن الولايات المتحدة تأمل بالقضاء على الفقر الذي يتقبل الشيوعية أكثر مما يتفتح إلى مساعدة أمريكا المالية » . وكان يقصد بكلمته هذه الفلسطينيين الذين تظاهروا ورفضوا المشروع ، وطالبوا بالعودة إلى وطنهم . وهذا بنظر الامبريالية الأمريكية شيوعية . « فلكي لايكون الفلسطينيون شيوعيين ، برأي اليانكي ، عليهم أن يخلوا للصهاينة الأرض بمختلف الأشكال التي من جملتها الموت ★ . . . كما أخلاها الهنود الحمر في سالف الزمان . . . » . ولانعلق على مساعدات دولته ، كما لانستطرد إلى ما تنهبه من ثرواتنا وخاصة منها الثروة النفطية .

والأمر الآخر الذي يسترعي الانتباه هو أن مشروع جونستون تنبأ منذ البداية بأنه سيرفض من قبل بعض الجهات . إلا أن واضعيه قالوا أنه يكفي أن تقبله جهات أخرى في البدء كي تقوم عمليات التنفيذ . وكانت الجهة التي رفضته (كذباً وخداعاً) إسرائيل ، في بادىء الأمر ، في الوقت الذي لم ترفضه الجهات العربية الرسمية . بل أن هذه الجهات ساهمت ، عندما قدم إليها ، « بالتوسع في دراسته » . وسنعود إلى هذه النقطة بعد الملاحظة التالية : رأينا منذ البدء أن هذا المشروع الذي وضع بإشراف « هيئة وادي التنسي » (التي أشرفت أيضاً على مشروع لودرميلك المشروع الأب لكل مشاريع ري وكهرباء وادي الأردن) هو خلاصة كل المشاريع السابقة ، وفيه تتحقق كل الخطوات الأساسية لكل مشروع

★ في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر عندما كان اليانكي يقومون بإتمام عملية إبادة الهنود الحمر رفع أولئك المتوحشون الشعار التالي : الهندي الجيد هو الهندي الميت . . .

منها : لقد خلا من كل دراسة ميدانية ، كما مر معنا سابقاً ، واكتفى بإقامت به تلك المشاريع السابقة من دراسات على الأرض . ورأينا أن معظم تلك المشاريع وضعتها جهات صهيونية أو بإشراف صهيوني ، إن لم نقل أن أسسها جميعها كانت من دراسات صهيونية لمسألة ري وكهرباء وادي الأردن . فلو قدر لهذا المشروع أن يقبل من كل الأطراف ، وأن ينفذ مافيه ، فإن الأعمال الهندسية التي نص عليها هي ذاتها التي يجب على إسرائيل ، في كل الأحوال ، أن تبدأ بإنجازها لتصل إلى تنفيذ مشروعها الحلم : مشروع لودرميلك ـ سافاج ـ هايز ، لري وادي الأردن ، وكهربته بقناة البحر الأبيض المتوسط ـ بحيرة لوط ، وفتحه على مصراعيه ، شرقي النهر وغربيه ، للتوسع بالهجرة الصهيونية فيه ، وجعله قاعدة الانطلاق لاجتياح العالم العربي . ثم إنها عندما كانت ترفض هذا المشروع ، كانت في ذات الوقت تنفذ القسم المخصص لها به ، مع عملها على حرمان سورية من الحصة المخصصة لها وهي كما مر معنا أعلاه بحجم ٤٥ مليون متر مكعب من الماء الذي كان قسم كبير منه يروي أراضي البطيحة . وقد أشرنا أعلاه إلى أن هذا الأمر كان موضوع الشكايات السورية إلى مجلس الأمن في عام ١٩٥٣ . وقلنا أيضاً أن إسرائيل تستولي في الواقع بالمشروع على أكبر حصة ، وهي ٨٠٠ مليون متر مكعب من المياه السطحية المنتظمة ، عدا ماينصب في أقنيتها من المياه الغزيرة للسيول في الشتاء ، وعدا المياه والأنهار الجوفية . لذلك رأينا أن رفضها للمشروع كان كذباً وخداعاً ، « لتسهيل » أمر قبوله على الأنظمة العربية ، فلاتحرج هذه أمام جماهيرها « مادام العدو الصهيوني يرفضه » . . . إن أهمية هذا المشروع بالنسبة للمستعمرين (هدفهم الأوحد منه) هو تلك الشركة بين العرب وإسرائيل التي لاتعني إلا تسليم الأولين بما فرضه عليهم الاستعمار من سلب الجزء الأول من وطنهم ، من سلبهم فلسطين . ثم يستمر المسلسل بعد هذا حتى نهايته . إنه يعني ، تحت غطاء المساعدة الكاذبة لمهجري شعبنا الفلسطيني ، تحت غطاء أعمال ري وكهربة لاتؤول

في النهاية إلا إلى توسيع هجرة الصهاينة ، واقتلاع مهجرينا وتشريدهم مرة ثانية إلى أرض أخرى (إلى مابين النهرين بحسب اقتراح لودرميلك) نقول أنه يعني « تطعيم » المنطقة العربية بالجسم الاسرائيلي ، كي يصبح جزءاً عضوياً منها . وكان حسابهم (ومايزال) أن ينمو هذا الجسم الغريب باستمرار على حساب العرب ، ليبتلعهم في النتيجة في فلسطين وحول فلسطين ، ويمزق أمتهم بالأشكال والوسائل الملائمة ★ .

ولنعد إلى موضوع مساهمة الجهات العربية في« التوسع بدراسة مشروع جونستون . ففي ٢٨ كانون الثاني عام ١٩٥٤ ألقى جونستون محاضرة في « جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكيين » وقال في هذه المحاضرة : أن عرضه مرن ، وأن بإمكان الدول العربية التقدم بمقترحاتها ، وأن يكون إرتباط كل دولة بالهيئة الدولية فقط (أي به عملياً) فيما يخص تنفيذ مشروعه . وكان هذا كله شركاً ينصب للعرب . فمساهمة أنظمتهم بدراسة المشروع هو اعتراف به وبإسرائيل . أما قوله بأنهم لن يجلسوا مع إسرائيل على مائدة واحدة فهو من باب الخداع ، لأنهم بمشروعه سيتجسد ارتباطهم بها على الأرض ، وارتباطها بهم ، بكل تلك الأعمال

★ لقد تشرفت بالمساهمة بافتتاح المعركة الوطنية في سورية ضد هذا المشروع . فأموره كانت تدور بالسر وبمعزل عن الجماهير العربية في كل أقطار وطننا . وقد أمدني المرحوم الدكتور صلاح الدين الطرزي بالمعلومات اللازمة عن المشروع ، وبما كان يدور حوله في الخفاء حتى أوائل عام ١٩٥٤ . وأتاح لي المرحوم الأستاذ أحمد علوش عرض هذا الأمر بملابساته وأهدافه على الرأي العام بعدد من جريدته « الصرخة » خصصه بكليته لهذا الموضوع . وقد تفضل هذا الانسان الطيب بتوزيع العدد على الناس مجانا في كل أنحاء قطرنا السوري ، وماكان أبداً من الأغنياء ، وإنما كانت له ثروة ضخمة من الوطنية والطيب ، طيب الله ثراه . واستمرت الصرخة (مع الصحف السورية الأخرى) تخوض هذه المعركة حتى نهايتها الظافرة .

الهندسية البالغة الضخامة ، وسيكونون جميعاً في مشروع إقتصادي واحد يشكل أكثر بكثير من إعتراف سياسي بها . وقد استجابت الجهات العربية بالأشكال التالية :

١ . عرض جونستون مشروعه على الجامعة العربية التي انعقد مجلسها في آذار عام ١٩٥٤ في القاهرة . وقد أحالت الجامعة دراسة المشروع إلى لجنة فنية . « فقررت هذه اللجنة أنها تفضل مشروع بونجر ، ورفضت مشروع ماين لأسباب فنية عديدة ، وذكرت أن جونستون يقدم مشروعه كوسيلة للتشديد على التعاون بين العرب وإسرائيل ، ذلك التعاون الذى لم يفكر به العرب يوما » ★ .

٢ . قدم في أواخر نيسان إلى جونستون مشروعان مقابلان لمشروعه :

الأول : وضعه نفر من المهندسين العرب برئاسة المهندس محمد سليم السكرتير العام لمجلس الانتاج القومي في مصر . وهذا المشروع يشبه بخطوطه العامة مشروع ماين ، ويؤدي بالتالي إلى الاعتراف بإسرائيل كدولة مشاركة في المياه العربية ، وإن أنقص حصتها من ٣٥٪ إلى ٢٠٪ من مياه الوادي الملحوظة في مشروع ماين الآنف الذكر .

الثاني : إسرائيلي ، وضعه المهندس الأمريكي جوزيف كوتون ، الذي أدخل إستخدام المياه الجوفية وثلث مياه الليطاني المنتظمة التي ستساق إلى بحيرة طبريا لايقاف الزيادة في ملوحتها بسبب نزح مياهها ، وللاستفادة منها أيضاً في الري والكهرباء . وهنا تنقص حصة الأردن من الأراضي المروية فتنخفض من ٤٩٠ ألف دونم ملحوظة في مشروع جونستون إلى ٤٣٠ ألف دونم . ويترك إلى لبنان مايكفي لارواء ٣٥٠ ألف دونم ، في الوقت الذي كان المشروع اللبناني لنهر الليطاني وحده (عدا الحاصباني ومرج العيون وغيره)يلحظ إرواء أكثر من ٤٠٠

★ غواشون الانف الذكر ص ١٢١ .

ألف دونم . كما رأينا في مطلع هذا البحث . ويعطي مشروع كوتون هذا حق تحويل ٧٥٪ من مياه الأردن إلى إسرائيل ، التي لها الحق أيضاً في إستعمال المياه أينما شاءت كالنقب مثلا .

وعاد جونستون إلى القاهرة ، في النصف الأول من حزيران ١٩٥٤ ، وهو يحمل المشاريع الثلاثة : مشروع محمد سليم الأنف الذكر ، ومشروع كوتون ، ومشروعه الذي هو مشروع الولايات المتحدة الأمريكية . وكان قبل مجيئه قد أجرى مشاورات مع كل من إيزنهور رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ، وهمرشولد الأمين العام للأمم المتحدة الذي كان في الواقع خادماً لأمريكا في هذه المنظمة ★ . وفي الجوهر ، ماكان جونستون يحمل إلا مشروعاً واحداً هو مشروعه المعدل في هذا الاتجاه أو ذاك . وبعد ثلاثة أيام من المحادثات توصل إلى وضع أسس إتفاق لقي القبول من جميع الأطراف . وكتب مراسل التايمز في القاهرة « كنيث لوف » مقالاً في ١٩ حزيران ١٩٥٤ ، قال فيه : « قبل العرب مشروعاً شاملاً لكل الوادي ، باعتباره عاجلاً وملحاً . وضمن هذا المشروع استخدام بحيرة طبريا كخزان إضافي على أن يتصل بالخزان الذي ينشأ من إقامة سد على اليرموك المعتبر كخزان

★ أتى همرشولد إلى دمشق في خريف عام ١٩٥٧ . وحاول إقناعنا (في اجتماع حضرته في وزارة الخارجية السورية) بتعديل إتفاقية الهدنة ليتسنى لاسرائيل إتمام مشاريعها للري في سهل الحولة . وقدم لنا حجة تتناقض تماما مع ما يجب أن يكون عليه تفكيره كأمين عام للأمم المتحدة ، فقال لنا : إن البلى يصيب الاتفاقات الدولية بمرور الزمن . فقلت له : إننا نستغرب قولكم هذا ياسيد همرشولد وأنتم تشغلون منصب الأمين العام للأمم المتحدة . إن المؤرخين حتى اليوم يتنقدون غليوم الثاني لأنه قال قولا مشابها ، فنعت معاهدة حياد بلجيكا بورقة بالية مر عليها الزمان ، وذلك ليبر ر إجتياح جيوشه لأراضيها في بدء الحرب العالمية الأولى . وانتهى الاجتماع عند هذا الحد .

أساسي ، مع إشراف دولي على أخذ كميات المياه المخصصة . وقد احتفظوا بكل حقوق اللاجئين (ماشاء الله . . .) مع قبول المساعدة التي سترفع مستوى حياتهم . وفوق ذلك فقد حدد البيان أن المياه سوف تستخدم داخل حوض نهر الأردن فقط » ★ . انتهى قول مراسل التايمز .

وقبلت إسرائيل بالمشروع ، بعد أن أجلت موضوع الليطاني إلى فرصة مقبلة مع إبدائها الأمل بإمكان شراء قسم من مياه الليطاني من لبنان ، أو أن تبادل عليه لقاء قوة كهربائية ترسلها إلى لبنان .

٣ . عاد جونستون إلى الشرق في رحلة ثالثة قصيرة ، واجتمع في بيروت بتاريخ ١٩ شباط ١٩٥٥ بممثلين عن لبنان وسورية والأردن ومصر ، وأعلن في نهاية الاجتماع عن إتفاق تمهيدي بين المجتمعين . ثم ذهب في ٢١ منه إلى إسرائيل وتوصل بعد محادثات مع شاريت إلى مبدأ جعل طبريا كخزان ، مع إلغاء خزان البطوف (أي تأجيل إرسال المياه إلى النقب من الخزان الأخير ، مع تأجيل البحث في مياه الليطاني الذي كانت إسرائيل تطلبه لتحلية مياه البحيرة ، الذي لم يعد له لزوم مادامت كل المياه العذبة للوادي ستصب فيها) .

٤ . خطت أمريكا خطوتها الأخيرة ، ففي آب ١٩٥٥ قال دلس وزير خارجية الولايات المتحدة بصدد مشروع جونستون وتوطين اللاجئين : « إذا تفاهم العرب والاسرائيليون على تعديل الحدود ، فإن الولايات المتحدة ستضمن هذه الحدود وستقدم قرضاً دولياً للتعويض عن الممتلكات التي فقدها العرب في إسرائيل » ★ . واجتمع وزراء خارجية العرب مرة أخرى في القاهرة بحضور فنيين من كل من مصر وسورية ولبنان والأردن . وانتهت المداولات بعد ثلاثة أسابيع إلى

★ غواشون ص ١٢٤

★ المرجع السابق ص ١٢٩ .

الموافقة على مشروع جونستون المعدل الذي يعتبر فيه خزان المقارن الكبير أساساً للمشروع .

ولكن تصاعد مقاومة الراي العام العربي لمشروع جونستون ، واستمرار الحملات الصحفية العنيفة ضده في سورية ولبنان ، وثورة الجماهير الفلسطينية عليه ، إذ قام في الخليل أكثر من ٦٠ ألف لاجيء بالدعوة إلى الصيام عن الطعام إحتجاجا على الاستمرار في بحثه من قبل المسؤ ولين العرب ★★ ، كل هذا وغيره انعكس على الأنظمة العربية ، وخاصة منها في سورية التي قامت فيها وزارة الجبهة الوطنية برئاسة المرحوم الأستاذ صبري العسلي . وانتهى الأمر إلى تجميد المشروع في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر .

★★ قدم المفتي الحاج امين الحسيني مذكرة في خمسين صفحة إلى الحكومات العربية في خريف عام ١٩٥٥ ، بين فيها خطورة مشروع جونستون على مصير القضية الفلسطينية وعلى مستقبل الأمة العربية .

تحويل الأردن إلى النقب

إن منطقة النقب لاتقل خصوبتها عن خصوبة وادي النيل عند توفر الري الكافي لها . فهي أرض بكر يكثر فيها الندى وتهطل عليها زخات المطر سنوياً ، وتوجد فيها المياه الجوفية . وقد دلت التجارب على أن القطن والحبوب ونباتات المناطق الحارة بصورة عامة تعطي نتائج مدهشة في أراضي هذه المنطقة عند توفر الري الكافي . فإذا تمكن الصهاينة من إتمام مشاريعهم الحالية لري هذه المنطقة ، فإن مضاعفة إسرائيل وإيصال عدد سكانها إلى الخمسة أو الستة ملايين مرتزق يهودي يصبح أمراً واقعاً ، وهذا مايسعى إليه الاستعمار الأمريكي بصورة دائمة .

إن مشروع الري الاسرائيلي القائم على مياه وادي الأردن ، والموجه إلى النقب ، عن طريق السهل الساحلي يقوم على اعتبار الـ بحيرة طبريا خزاناً ضخماً للمياه ، وغوراً عميقاً لتوليد الكهرباء ، وحوضاً هائلاً لتربية الأسماك . وهو يقع ضمن المخطط التالي الذي يصر الصهاينة على تنفيذه بحذافيره ، خطوة خطوة ، منذ أن وضعوا أنفسهم بخدمة الاستعمار الرأسمالي الاحتكاري حتى يومنا هذا :

أولاً : إنشاء جملة ري في سهل الحولة ، بعد تجفيف بحيرتها ، تعتمد على مياه الحاصباني وبانياس ، ودان ودفنة ، بانتظار وصول مياه الليطاني من بحيرة القرعون عندما تسنح الفرصة (كما سنحت في أعقاب حرب ١٩٦٧ التي انتهت إلى سيطرتهم على مصادر مياه الأردن في سورية) . وتتكون هذه الجملة من قناة التحويل الرئيسية لنهر الأردن (التي قطعت المياه عن بحيرة الحولة المجففة) ومن عدد من الأقنية الأخرى التي تتفرع من قناة التحويل ومن قناتين أخريين : الأولى تساير سفوح المرتفعات الغربية لسهل الحولة ، والأخرى تساير مرتفعاته الغربية . وتلتقي الأقنية الثلاث المذكورة قرب المخرج القديم لنهر الأردن من بحيرة الحولة .

ثانياً : حفرت على بعد كيلومترين إلى الجنوب من جسر بنات يعقوب قناة تحويل تساير تقريباً خط الارتفاع ٧٠ م عن سطح البحر ، وتسير فيها المياه بالراحة نحو المرتفع المطل فوق قرية الطابغة على بحيرة طبريا . وكان الاسرائيليون ، في الأيام التي كنا نمنعهم من إتمام مشروعهم لحفر قناة التحويل المار ذكرها أعلاه ، قد أقاموا منشآت كهربائية تعمل بالنفط عند الطابغة لضخ مياه بحيرة طبريا إلى خزان قرب عيلبون . وبعد وصول مياه الأردن إلى ذلك المرتفع المطل على الطابغة أصبح بالامكان إقامة جملة كهربائية بدلاً من تلك التي كانت تعمل بالنفط ، وذلك بالاستفادة من سقوط جزء من المياه المذكورة عبر تلك المنشآت التي كانت تصعد بها مياه البحيرة بالمضخات إلى خزان عيلبون ★ . أما القسم الآخر من مياه الأردن فإنه يتجه بالراحة نحو ذلك الخزان .

ثالثاً : تستخدم القوة الكهرمائية الأنفة الذكر لتقوية شبكة المنطقة ولضخ مياه خزان عيلبون إلى سهل البطوف ، حيث تنقلها الأنابيب عبر السهل الساحلي إلى النقب .

إن مشروع الأردن النقب صمم بحيث يشكل العمود الفقري لجميع مشاريع الري الاسرائيلية ، لتتصل به كل مشاريع الري الأخرى تقريباً : مشروع الجليل الغربي ، ومشروع بيسان ومشروع اليركون (نهر الأعوج) . فيمد هذه المشاريع بالماء الصالح للزراعة والصناعة والاستهلاك الشخصي عند الحاجة ، ويأخذ منها الفائض إلى النقب عندما يكون فيها فائض . وقد نشرت الهيرالد تريبيون في كانون أول عام ١٩٦٢ تحقيقاً لمراسلها في تل أبيب حول تحويل مياه الأردن إلى النقب .

★ يزيد الارتفاع الذي تسقط فيه المياه لتحريك عنفات المولدات الكهرمائية على ٢٦٠ متراً ، مما يسمح بالحصول على ثلاثة أرباع الكيلوواط ساعي من كل متر مكعب يسقط من هذا الارتفاع ، وهذه طاقة كبيرة .

فقال المراسل أن هذا المشروع سيسير لاسرائيل إرواء ٧٥ ألف هكتار جديد من أراضي النقب ، أي زيادة الأراضي المروية الاسرائيلية بمقدار ٥٠٪ ومتوسط حاجة الهكتار الواحد هناك في الموسم هو عشرة آلاف متر مكعب فيكون مجموع مايجب توفيره لهذا الغرض بمشروع تحويل الأردن هو ٧٥٠ مليون متر مكعب سنوياً .

رابعا : قلنا أن إسرائيل لاتريد فقط « دعم » مياه الأردن ببعض مياه الليطاني ، وإنما تهدف إلى الاستيلاء على مياه هذا النهر بكليتها ، مع إلغاء كل المشاريع اللبنانية عليه ، تماماً كما فعلته في سورية عندما اغتصبت الأرض والماء . وأفضل خزان للماء للمشروع الاسرائيلي هو بحيرة القرعون . فبالامكان أخذ قناة من هذه البحيرة إلى منطقة « يحمر البقاع » ، ثم تساير هذه القناة جبل « بير الضهر » دون أن تفقد من ارتفاعها عن سطح البحر إلا بالمقدار الذي يسمح بجريان الماء بالراحة . وعند منطقة « قلية » تتفرع إلى فرعين : فرع يكمل إلتفافه حول جبل « بير الضهر » لينتهي إلى نقطة يصب منها في الحاصباني الذي يأخذ مياهه إلى الأردن فيزيد في غزارتها . وهذا أمر يسمح بزيادة حصة طبريا من المياه المنصبة عليها من المنشآت القائمة فوق الطابغة لتوليد الطاقة الكهربائية . فإذا أضفنا إلى هذا سيول الشتاء التي تصب في هذه البحيرة نجد أنها بهذا تحافظ على منسوبها الأصلي الذي كانت عليه قبل تحويل الأردن ، وعلى عذوبة مياهها . أما الفرع الآخر فيمكن أن يتجه ، وهو يحافظ على ارتفاعه عن سطح البحر مأأمكن (مع ترك انحدار بسيط عام يسمح بجريان الماء بالراحة) ، نحو مناطق كفركلة ، وميس الجبل ، والمالكية ، ومير ون حيث يلتف حول كتلة مرتفعات الجرمق الفلسطينية ليصل في النهاية إلى منطقة مجد الكروم ، فسهل عكا . ثم ينحدر من هذا السهل إلى الجنوب ليلتقي بخط مياه الأردن الذاهب إلى النقب . وهنالك إمكان آخر هو الوصول إلى سهل البطوف . ولكن هذا الطريق غير مفيد كالسابق الذي يمر في قلب الجليل الشمالي ويتصل بسهولة بمشروع ري الجليل الغربي . ونرى بالامكان

توفير كل الأعمال الآنفة الذكر بسوق مياه الليطاني المحمولة كلها إلى وادي الحاصباني ، دون توزيعها على الفرعين السابقين ثم إن الصهاينة يوفرون كل الدراسات اللازمة لأعمالهم الآنفة الذكر « بنهب » الدراسات اللبنانية لري الجنوب ★ ، وتعديلها قليلاً لحرمان هذا الجنوب من مياهه وأخذها إلى الأراضي المحتلة وبناء مستعمراتهم فيها . وقد لحظت الدراسات المذكورة منسوباً للري يصل إلى ارتفاع ٨٥٠ متراً عن سطح البحر . فنجد إذن أن وصول مياه الليطاني إلى النقب عن طريق أراضي الجليل الأعلى ليس فقط ممكناً ، وإنما أيضاً يتيح لاسرائيل توليد كميات كبيرة من الطاقة الكهربائية على طول مسار المياه .

خامساً : رأينا أن الأردن كان ومايزال محط أطماع الصهاينة . وقد عودنا هؤلاء الأعداء دوماً على تنفيذ غاياتهم حسب مراحل تتناسب مع ظروفهم القائمة . فبدأوا مثلاً بوطن قومي يسمح لهم ظاهرياً فقط بالهجرة إلى فلسطين . ثم انتقلوا إلى أخذ قسم من فلسطين . ثم كلها مع الجولان . ثم الجنوب اللبناني . والآن يشددون على أن الأردن هو وطن الفلسطينيين . ويقولون : إذا كان الفلسطينيون يريدون العودة إلى وطنهم ، فما عليهم بحسب زعمهم إلا أن يعودوا إلى الأردن . . . وفي ذات الوقت يتمسكون بالضفة الغربية ويكثفون المستعمرات فيها ، ويعملون على خنق الحياة العربية هناك بمختلف مظاهرها ، لاجبار أهلها العرب على مغادرتها ، وهم يأملون في تهجيرهم عنوة في يوم من الأيام إلى القطر الأردني . فالحاضر ليس إلا مرحلة إعداد لما هو مقبل ، تماماً كما وقع للضفة الغربية التي شكلت فيما مضى « حصة » مؤقتة لشعبنا الفلسطيني ، ثم أتى الوقت الذي أصبحت فيه بنظر العدو

★ عهد بالتنفيذ لدراسات تنمية وادي الليطاني إلى شركتين أمريكيتين ، الأولى بارسونز من لوس أنجلوس ، والأخرى هارزا من شيكاغو . فليس هنالك إذن أية صعوبة أمام الصهاينة للحصول على كل تلك الدراسات لاسيما منها مخططات تحويل الليطاني .

الصهيوني جزءاً « من ميراثهم » الوهمي . فالحجة التي يطرحها الصهاينة اليوم بأن الأردن هو وطن الفلسطينيين لافراغ الضفة الغربية من العرب فيه ، تصبح في المستقبل لوضع اليد على هذا القطر عندما تحين الفرصة الملائمة . أليست فلسطين كلها من ميراث هؤلاء الخزر المرتزقة بحسب وعود المستعمرين الرأسماليين الاحتكاريين . . . . وعندئذ يشرد شعبنا مرة أخرى (من الأردن هذه المرة) إلى مابين النهرين ، كما اقترح لودرميلك عندما وضع مشروعه الذي استعرضناه فيما سبق من البحث . أما مشاريع المياه المنفذة أو المدروسة ، التي هي اليوم « مفيدة » في تثبيت المشردين القدماء والجدد في الأردن . فإنها ستكون بنية الصهاينة غنائم لهم ، كما سيصبح مشروع الليطاني غنيمة لهم عند تثبيت وجودهم في الجنوب اللبناني .

ويخطر في البال السؤال التالي : مادامت سياسة الصهاينة وأهدافهم هي إحلال مرتزقتهم مكان العرب في الأراضي التي تقع بأيديهم ، فلماذا إذن يصرون على تحويل مياه هذه الأراضي إلى النقب (تحويل المياه اللازمة مثلاً لارواء الجنوب اللبناني ، أو لارواء الضفة الغربية في فلسطين أو ماشابه إلى النقب) . . . والجواب هو أن هنالك مياهاً كافية لكل البلاد الشامية بما فيها النقب بتنظيم الري . ولكن الصهاينة في مشاريعهم يؤدون مهاماً بعيدة كل البعد عن كل أمر إنساني . فهم قبل كل شيء مغتصبون لأوطان غيرهم ، ويعملون كمرتزقة في قاعدة للنظام الرأسمالي الاحتكاري العالمي . وسيناء مع النقب وجنوب القطر الأردني (من محافظة معان حتى العقبة) تشكل حالياً موقعاً استراتيجياً من الدرجة الأولى في المخططات العالمية للامبريالية الأمريكية . وستشكل في المستقبل (إلا إذا تخلصت مصر من محتلها الحالية وطردت حكامها الخونة) مجمعاً لقواعد مختلف الأسلحة البرية والبحرية والجوية لامثيل له في العالم . ومزايا هذا المجمع هي أنه :

١ . قريب من الاتحاد السوفييتي ، فهو لايبعد عن المناطق الصناعية الروسية في

القوقاز ، والأورال ، وقزوين ، بأكثر مما تبعده أوروبا الغربية عنها ، بل هو أقرب منها إلى تلك الأهداف في أغلب الحالات .

٢ . لاتوجد في هذه الأراضي كثافة سكانية ، كما في أوربا ، الأمر الذي يخلق لقواعدهم في العادة هناك مشاكل سياسية . أما المرتزقة اليهود في النقب فإنهم هنا من أجل مثل هذه الأغراض التي تخدم الامبريالية الأمريكية .

٣ . غني بالمواقع الحصينة ، لاسيما في المنطقة الجبلية الأردنية .

٤ . تقوم عليه حالياً مطارات عالية التجهيز ، وموانىء حديثة ، فهو مهيأ منذ الساعة للاستخدام العسكري .

٥ . يقع على طرق المواصلات العالمية : البرية والبحرية والجوية ، بين الغرب الرأسمالي ، وبين كل من آسيا وأفريقيا .

٦ . يقع على مقربة من إحتياطي النفط العالمي في الخليج .

٧ . يتضمن هو بذاته حقولاً نفطية في سيناء والبحر الأحمر كافية لحاجاته .

فهذا المجمع العسكري الهائل ، الذي تقيمه أمريكا حالياً هنا ، هو الامتداد القوي لهذه الدولة العدوانية في منطقتنا . وهو موجه ضد أمن ومصالح كل الشعوب القاطنة في المشرق العربي ، والقارة الهندية ، وشرق أفريقيا ، والاتحاد السوفياتي . وبتمام قيامه يصبح الظهير القوي لاسرائيل الذي يمدها بكل مايلزمها من أسلحة وعتاد ومحروقات (من الخليج العربي طبعاً) ، دون الحاجة للجسور الأمريكية التي تأتي من الولايات المتحدة إلى إسرائيل عبر القواعد المنتشرة على هذا الطريق .

ومثل هذه القاعدة الهائلة بحاجة ماسة إلى الكميات المشار إليها أعلاه من المياه . وليس هذا فحسب ، فقرار نظام السادات بتحويل بعض مياه النيل إلى سيناء هو قرار أمريكي في الأصل ويهدف إلى هذه الأغراض : إن حشود الآليات ، والجيوش ، بالاضافة إلى السكان الذين يقومون بمختلف الخدمات في تلك القواعد العسكرية ، مع ماتهدف إليه الصهيونية من تكثيف هجرة مرتزقتها إلى

النقب ، الـذي ستـزدهر فيه أعمال الارتزاق ★ ، كل هذا يضاعف من حدة معركة الميـاه التي خضنـاهـا ونخـوضها ضد العدو حتى اليوم ، ويضاعف من شراسة هذا العدو الذي ماهو في الواقع إلا قناع للعدو الأصلي الولايات المتحدة الأمريكية .

★ لاعـداد هذه المنطقـة أرضـاً للعـدوان تنهـال ملايـين الدولارات الأمريكية منذ اليوم لتنفق في المشـاريـع الواسعة الضخمة لهذا الاعداد . ثم إن وجود تجمعات عسكرية كبيرة هناك يولد سوقاً استهلاكية والصهاينة مشهورون تاريخياً بالسبق إلى مثل هذه الأماكن .

التسابق إلى منابع المياه

قلنا أن المقاومة العربية لمشروع جونستون ، بكل أشكاله وتعديلاته ، كانت تشتد كل يوم ، مع اشتداد وضوح الهوية الأمريكية كهوية عدو غادر أين منه اولئك المستعمرون القدماء الذين بدوا إلى جانبه ، في قهرهم للانسان وجبروتهم الماضي ، كأقزام يثيرون السخرية (كما تثيره مثلاً حالياً بريطانيا « العظمى سابقاً » تجاه جنرالات الأرجنتين . .) . وكان العالم العربي يغلي بالثورات ضد المستعمرين (من أقصى مغربه إلى أقصى مشرقه) ضد جميع مشاريعهم التي تأتي مشاريع المياه الأمريكية لخدمة إسرائيل في مقدمتها . وكانت المقاومة أشد ماتكون عليه في سورية وبين الجماهير الفلسطينية . وماانفك الأمريكان عن التدخل في شؤون سورية الداخلية ، وعن حبك المؤامرات ضدها لقطع الطريق على كل حكم يسمح للجماهير فيها « بالتنفس » بشكل طبيعي . وعندما قام حكم الجبهة الوطنية قاموا باغتيال الشهيد عدنان المالكي . ولكن رد الجماهير السورية كان حاسماً لم يترك لأمريكا (أو لغيرها من رؤوس النظام الاستعماري العالمي) أي مرتكز داخلي تتكيء عليه لانجاح واحدة من السلسلة التي ما انقطعت لمؤامراتها . ومن الواضح تماماً أن تلك الظروف « أنست » أمريكا تماماً مشروع جونستون وأمثاله من مشاريع ، في الوقت الذي انصب كل اهتمامها في المنطقة على السعي إلى تحطيم ذلك المحرض الهائل للثورة العربية الكبرى ، إلى تحطيم وتشتيت مقاومة الجماهير في سورية التي كانت تنعت عالمياً باسم « الجزيرة الخضراء للحرية » . ثم إن سقوط المشروع في القطر العربي السوري ، الذي كان يشكل الطرف الأساسي فيه ، يسقطه نهائيا . ذلك لأن المدافع السورية كانت تمنع مرور قناة التحويل من الأراضي المجردة ، كما كانت تمنع تحويل النهر جنوب جسر بنات يعقوب نحو خزان

البطوف ، التحويل الذي ذكرناه انفاً والذي يقطع المياه عن أراضي البطيحة السورية . وهنالك نهر بانياس أحد الفروع الأساسية للأردن ينبع في سورية . أما نبعي دان ودفنة ، قرب الحدود السورية ، فتغذيهما عروق تأتي من منطقة مسعدة في الجولان ★ . فيمكن إذن تجفيفهما بحفر جملة من الآبار الارتوازية في هذه المنطقة باتساع كاف على السطح وفي الأعماق . وهذا مشروع مكلف بلاريب ، ولكنه لايقاس بما يوقعه العدو الأمريكي و اسرائيل بنا ، مباشرة ، من خسائر في شبابنا وأرضنا وثرواتنا التي يأتي النفط في رأسها . وبالامكان أيضا فعل ذات الشيء لرفع نبع بانياس إلى إرتفاع أراضي مسعدة . وجمع كل المياه الحاصلة من مجمل هذه العملية بنظام واحد للري على هضبة الجولان (يتضمن السدود لتخزين مياه السيول الغزيرة في الشتاء) تروي مياهه الأراضي العربية من هذه الهضبة حتى منابع الزرقاء في الأردن ، مرورا بحوران . فيمكن جمعه بمثل هذا النظام ، حسب مامر معنا أعلاه من إحصاءات ، يزيد بسهولة على خمسمائة مليون متر مكعب سنويا .

ولابد لنا من أن نلاحظ أن قيام بحيرة مسعدة على تلك القمة الواقعة في سفح جبل الشيخ ، وعلى الخط المائي لينابيع بانياس ودان ودفنة ، يعطينا دلالة على أن مستودعات المياه الجوفية التي تغذي تلك الينابيع طوال العام لابد من أن تكون على ارتفاع أعلى من القمة المذكورة . وبالتالي فإن مياه الابار الارتوازية المشار إليها آنفاً يمكن إصعادها بتدابير هندسية ملائمة إلى السطح (كمياه بحيرة مسعدة) دون الحاجة إلى مضخات مكلفة .

ونقول إذن أن الموقف السوري أسقط نهائياً مشروع جونستون . فقام ظرف

★ كنا قد قمنا بتجارب بإلقاء كميات من المواد الملونة في بحيرة مسعدة فتغير لون الماء في نبع دان الذي هو أكثر ينابيع الأردن غزارة بعد اليرموك .

جديد تتلخص خطوطه بمايلي :

- استمرت سورية بمنع إسرائيل (بالقوة عندما كان الأمر يستدعي ذلك) من إنجاز عملية التحويل لنهر الأردن إلى النقب . ولكنها بسبب ظروف عربية ، ولعدم توفر رؤوس الأموال اللازمة عندها ، لم تتمكن من إنجاز تحويل مجرى الأردن من منابعه ، بالشكل المبين أعلاه (أو بأي شكل هندسي آخر) . ونحن نعتقد جازمين أن الظرف كان مناسبا لتلك العملية حينذاك ، وعلى الأخص بعد هزيمة العدوان الثلاثي على مصر .

- قرر المجلس النيابي اللبناني الاستفادة من مياه الحاصباني في ري أراضيه ، وكانت « الدراسات » للاستفادة من الليطاني في ري البقاع والجنوب جارية ، ولكن من قبل شركات أمريكية . وقد سبق أن أعطينا فكرة كافية حول هذا الموضوع فيما سلف من البحث .

- كان الأردن يسعى إلى إقامة مشاريعه لري الأغوار والضفة الغربية من اليرموك والزرقاء ، وسنعود إلى هذا الأمر فيما يلي من البحث .

- استمرت إسرائيل في إنجاز مشاريع الري الداخلية : مشروع التحويل إلى النقب بالعمل في المناطق البعيدة عن مرمى المدافع السورية ، ومشروع الجليل الغربي ، ومشروع اليركون - النقب . وهكذا دام الحال إلى أن سنحت لها الفرصة للانقضاض على مصادر مياه الأردن في سورية من جهة ، وللوصول إلى الليطاني بعد ذلك ، من جهة أخرى .

ولنحاول ، فيما يلي ، رسم الخطوط العامة للنشاط المائي في الأردن أولاً ، ثم للأحداث التي سبقت إنقضاض إسرائيل على مصادر المياه في سورية ، حيث نتبين جيدا ماقلناه أعلاه من أن ينابيع الماء حول فلسطين تحدد لنا الستراتيجية الصهيونية في التوسع في وضعنا العربي .

مشاريع الري الأردنية

أشرت أعلاه أكثر من مرة إلى إرتباط مسألة الري في القطر الأردني بمسألة النازحين إلى هذا القطر من فلسطين . كما أشرنا إلى مزاعم إسرائيل بامتداد فلسطين لتشمل أراضي الأردن ، وقلنا أنها بهذه الحجة تحاول دوماً تثبيت الفلسطينيين هناك لسد طريق عودتهم إلى ديارهم التي سلبوها منهم . وقد مارس الصهاينة هذه السياسة منذ أن قام كيانهم في أتون نكبة عام ١٩٤٨ . وكان الأمريكان ، بمختلف أساليبهم الماكرة ، يعملون على فتح السبل أمامهم لمساعدتهم على إنجاح مخططاتهم هذه . فالعضو الأمريكي مثلاً في « لجنة التوفيق الدولية » لفلسطين ، التي أسستها الأمم المتحدة (في الواقع) بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية لتصفية كل مطمح للعرب بالعودة إلى ديارهم السليبة ، تحت ستار تنفيذ مقرراتها التي من جملتها « عودة اللاجئين إلى ديارهم » المذكورة ، تقول أن العضو الأمريكي مارك اتريدج تظاهر أمام هذه اللجنة ، في جلساتها الأولى التي كانت تعقدها في لوزان « بالغيرة الشديدة » و« الشفقة » على اللاجئين . و« سبق الأردن » بالتذكير بالأهمية الحاسمة للمياه في موضوع إسكان الفلسطينيين المهجرين . وأخذ ينصح الوفد الأردني بإدخال قضايا الري والمياه بين مطالبه ، وعدم التفريط بحقوق بلده القطر الأردني بالمياه ★ (ماشاء الله . . . إن أمريكا تبلغ القمة في التهريج والمكر عندما تتقنع بقناع الدفاع عن حقوق الانسان الذي تذبحه

★ ورد خبر هذا في رسالة البيون روس من عمان إلى صحيفة النايمز بتاريخ الأول من أيار عام ١٩٤٩ . وقد أخذت الانسة غواشون عددا من فقرات هذا المقال في بحثها المشار إليه أكثر من مرة في بحثنا هذا

كما يذبح جزار اليهود البقر بعد أن يبرئها من العيوب) .

واقترح في تلك الأيام « والبول » ، مدير مصلحة المساحة في عمان ، تأسيس هيئة على غرار « هيئة وادي التنسي » (التسمية التي ترددت في مشروع لودرميلك ، والمشروع « الأزلي » لنهر الليطاني ، وغيرها من مشاريع الري في منطقتنا ، وكأن هذه الهيئة الأمريكية التي تعثرت أعمالها عقوداً طويلة من السنين ★ فاقت بها تعثر أعمال ري الليطاني « بتناطح » الاحتكارات والرشاوي ، هي المثل الذي يجب أن يحتذى به . . .) . وقدم والبول المذكور مشروعاً للتنمية الزراعية على غرار مشروع سابق « لشركة التنمية العربية » التي كان يرأسها موسى العلمي ، من ناحية تنظيم ري القرى والمزارع ، وإقامة الصناعات الخفيفة ، ولكنه يقتصر فقط على إنشاء قناة واحدة للاستفادة منها في شرقي النهر دون غربيه ، خلافاً لما ورد في مشروع « شركة التنمية العربية » المذكورة .

وفي خريف عام ١٩٤٩ ، انهمكت كل من « اللجنة الاقتصادية » في الأمم المتحدة ، و« لجنة التوفيق » لفلسطين في دراسات تنموية تقوم على الري باستخدام وادي الأردن ، وكان ذلك بغرض الاسراع في « تثبيت » اللاجئين الفلسطينيين أينما وجدوا حول فلسطين ، وخاصة في الأردن . فأتت مثلاً لجنة فنية فيها مهندسان من « هيئة وادي التنسي » برئاسة غوردون كلاب ، ووضعت تقريراً (تقرير كلاب الشهير) يتناول مسائل التنمية في منطقة الأقطار الأربعة : سورية وفلسطين والأردن ولبنان ، وهذه الأقطار ، عدا إسرائيل ، هي الأقطار التي كانت وماتزال موطن من هجر من أهلنا من فلسطين . ويتناول هذا التقرير على الأخص مسألة التنمية الزراعية في القطر الأردني الذي تلقى أكبر كثافة من المهجرين . فاقترح مشروعاً لري الأراضي في شرقي النهر وغربه . ويعتمد الري في الشرق على نهر اليرموك .

★ انظر أخبار هذه الهيئة في بريتانيكا إصدار عام ١٩٦٥ تحت عنوان « تنسي » .

أمـا ري الضفـة الغـربيـة فيعتمـد على خزان ماء ينشأ في بيسـان المحتلة من قبـل إسرائيل ، وتغذيه قناة تأتي من طبريا . وهذا ماينطبق على مشروع هايز الصهيوني الـذي سبق أن ذكـرناه ، وعلى الأخص فيما يتعلق منه بخزان بيسان وقناة الري من طبريـا القـائمـين حالياً في « مشروع ري بيسان » الاسرائيلي المشار إليه فيما سبق من البحث . وقـدمت التقارير والدراسات ، التي منها تقرير « كلاب » الأنف الذكر ، إلى الأمم المتحـدة . فأقـرت الجمعية العامة ، بتاريخ ٨ كانون الأول ١٩٤٩ الحل الأمـريكي لكـل المسـائـل المطروحة في التقارير المقدمة ، وهو تأسيس « وكالة غوث الـلاجئـين ، الأونـروا » . وكـان هذا بدلاً من إرغـام إسـرائيل على إعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

وقـامت عدة مشـاريع ودراسات قبل وأثناء عرض مشروع جونستون الشامل لفلسطـين ومـاحـولهـا من أقطـار عربية ترتبط بوادي الأردن ، مثل مشروع « مردوخ مكـدونـالـد » ومشروع « بونجر » وغيره . ولكن تلك المشاريع والدراسات انهارت جميعها ، لأنها في الواقع ماكانت إلا مسكنات لاتتضمن ما احتواه مشروع جونستون من تشـارك بين العـرب وإسـرائيـل على تنميـة وادي الأردن (بمعنى الوادي الذي فصلناه أعلاه) ، بحيث تكون السيطرة في هذه الشركة لاسرائيل التي تقف أمريكا وراءهـا . إلا أن انهيـار ذلـك ـروع الاستعـماري أمـام مقاومة الجماهير السورية والفلسطينية أعاد مسألة المياه إلى نقطة البدء .

في السـابـع من آذار ١٩٥٨ بعث مراسـل النيويورك تايمز فوستر هايلي رسالة من العـدسيـة يقـول فيها ★ : « لما كان من غير الممكن طبخ كل قطعة الحلوى مرة واحدة فلابأس من أن يترك جزء منها مؤقتاً إلى الأردن » . فالمشروع الأردني القائم على الاتفاق المالي المعقود بين الولايات المتحدة والأردن في صيف عام ١٩٥٧ ، تم

★ غواشون ص ١٤٥ .

فيما يتعلق بمشروع الري باتفاق وقع في عمان في ٣١ أيار ١٩٥٨ بين النقطة الرابعة الأمريكية وبين مصلحة التنمية الأردنية . وبموجب هذا الاتفاق تقوم سلطة « قناة الغور » الشرقية المكلفة بصفة وزارة بكل الأعمال المتعلقة بالقناة المذكورة ★★ . وقد صدر قانون خاص للسلطة الآنفة الذكر في ٨ / ٨ / ١٩٦٢ . ويتكون هذا القانون من ٢١ مادة موزعة كما يلي :

١ . التعاريف والمبادىء

٢ . إرتباط سلطة القناة برئيس الوزراء ، وهيكل هذه السلطة ، وصلاحياتها ، ومهامها .

٣ . تعيين الوحدات الزراعية ، وشكل ملكيتها ، وكيفية الاستفادة منها ، وشكل إرتباطها بسلطة القناة .

٤ . القواعد العامة لمختلف الانشاءات والنفقات .

٥ . العلاقات المالية والادارية بين سلطة القناة والدولة .

٦ . إلغاء القانون السابق للقناة مع إيقاف مفعول كل قانون آخر يتعارض مع هذا القانون ، وذلك في مجال تطبيقه .

وبدأت الأعمال في ٤ اب ١٩٥٨ ، بناء على دراسة قام بها مهندسون من « الفاو » فتأخذ القناة ، بموجب هذه الدراسات ، مياهها مباشرة من اليرموك على بعد أربعة كيلومترات من العدسية إلى جهة النبع ، وذلك دون الحاجة إلى إقامة سد على النهر ، للارتفاع النسبي لمجراه عند مأخذ القناة . وتقع نهاية القناة على بعد بضعة كيلومترات إلى الشمال من البحر الميت . وقد لوحظ في المشروع إنشاء سيفون عند نقطة تقع إلى الشمال من وادي الزرقاء لنقل مياه الري ، بالمرور بنفق تحت النهر يقع في منطقة جسر دامية ، إلى أريحا ، لري الضفة الغربية ، وذلك بعد

★★ المرجع السابق .

إقامة السد على اليرموك .

إن تربة الأغوار ممتازة ، ويمكنها أن تعطي ثلاثة مواسم في السنة في حال توفر الري لها . وقد أجرت شركة « هارزا الهندسية » الأمريكية فحوصاً للتربة بغاية تقدير المياه اللازمة لري وحدة المساحة لها . كما نظمت مخططات لأعمال الري بمقياس واحد من خمسة آلاف . وهنالك مشروع متمم لمشروع القناة وهو مشروع الأودية الجانبية لاقامة السدود لتخزين مياه السيول ★ . وفي نهاية الأمر جرى اتفاق بين سورية والأردن لاقامة سد على المقارن السورية ، عند إلتقاء الرقاد باليرموك ، لتوليد الكهرباء والري . والمشروع هنا يقوم على دراسة بونجر المار ذكره . وكانت النقطة الرابعة قد تبنته في عام ١٩٥٣ ، ثم انهار مع المشروع العام لهذا الخبير لفسح المجال لمشروع جونستون . وأخيراً عاد إلى الحياة ونفذ .

★ غواشون الآنف الذكر ص ١٤٢ ومايليها .

معركة المياه بين سورية وإسرائيل

رأينا أن سورية وقفت دوماً في وجه الأطماع الصهيونية لسرقة المياه العربية في وادي الأردن ، وأحبطت المشروع الأمريكي لجونستون . وفي شهر آذار عام ١٩٦٠ قام بن غوريون برحلة إلى أمريكا ، ليستأذن أمريكا ، ويستنجد بها كي تساعده في إتمام مشاريعه لتحويل الأردن إلى النقب . فقابل هناك الرئيس الأمريكي إيزنهور ، والرئيس الألماني الغربي ادنور . وهرتر وزير الخارجية الأمريكية ، وهمرشولد الأمين العام للأمم المتحدة . وعند عودته إلى تل أبيب صرح بأن إيزنهور نصحه بأخذ المياه من طبريا دون أن يمانع في تحويل النهر من الأرض المجردة . وهذا يعني أن الأمريكان نصحوه بتأجيل العمل في الأرض المجردة ، إلى أن تحين الفرصة لازالتها نهائيا ، والانقضاض على ما خلفها ، حتى جبل الحرمون « أب المياه » ، مع سفوحه التي تشكل هضبة الجولان القائمة على بحر من المياه الجوفية ، والمغطاة بمروج من العيون التي تتفجر بالمياه العذبة . ذلك أن أمريكا كانت تعد حينذاك إطلاق سلسلة من التحولات في كل أقطار الاهليلج الخصيب ، مع وادي النيل ، للوصول إلى عهد السادات ، عهد الجاهلية التي لم تر أمتنا مثيلاً له في انفلات الغرائز الحيوانية طوال عمر نشوئها وإرتقائها ، وهي أمة الكرم والحضارات . نقول للوصول إلى عهد إستقرارها (إستقرار أمريكا) في المشرق العربي لكي تجعل منه إقطاعا لها ، تضع فيه يدها مباشرة على منطقة سيناء ـ النقب ، مع مرافق جنوب الأردن عمليا ، لتقيم هناك القاعدة العسكرية الضخمة التي لم يشاهد لها مثيل في التاريخ . ويضاف إلى هذه القاعدة ، بطبيعة الحال ، إسرائيل ، وكل ما لأمريكا من أعوان ظاهرين ومستترين . أما إعمار النقب فلن يتأخر ، برأي الأمريكان ، مادام هنالك (بعيدا عن مرمى النيران السورية) حجم كبير من الانشاءات

الهندسية في مشروع تحويل الأردن إلى تلك المنطقة . فزود لذلك بن غوريون بالأموال الألمانية الغربية لتنفيذ تلك الأعمال ، التي من بينها إنشاء محطة الضخ على طبريا . أما تلك الأموال الألمانية فقد دفعت تحت ستار التعويض عن ضحايا النازية من اليهود ، الذين بالغت الصهيونية لأغراض دعايتها أيما مبالغة في تقدير عددهم ، في الوقت الذي شاركت وحرضت النازيين على قتل اليهود لدفع الباقين منهم على قيد الحياة إلى الهجرة إلى فلسطين . وكان وسيطها إيخمان ، الذي فعلت إسرائيل المستحيل للقبض عليه وقتله لاسكاته إلى الأبد .

ولكن الصهاينة بعد أن حصلوا على الأموال اللازمة لمشروع ضخ مياه بحيرة طبريا من الطابغة إلى خزان عيلبون ، عاودوا الكرة للحصول على الاذن من أمريكا كي يتمموا عمليات التحويل من الحولة . فنجد مثلاً كندي يكتب كتاباً إلى الرئيس عبد الناصر يذكر فيه العبارات التالية : « نحن على إستعداد للمساهمة في إيجاد حل منصف ومعقول للمشكلة الناجمة عن المشروع الخاص بتنمية موارد نهر الأردن ، كما أننا على إستعداد للمساعدة في إحراز تقدم بشأن أي ناحية من نواحي هذه المشكلة المعقدة . . » ★ . واستمر الصراع على الحدود السورية حول إتمام أعمال التحويل من الحولة ففي العاشر من شهر تشرين الأول عام ١٩٦٣ نشرت جريدة لوموند الفرنسية خبراً لمراسلها في تل أبيب يقول فيه : « تستند إسرائيل في مشاريعها للري على فرض الأمر الواقع ، الذي لم يستطع أحد من جيرانها أن يغير منه شيئاً (بكل أسف . . : من عندنا) . . . وقال مسؤولون إسرائيليون بصدد الاتفاق العراقي السوري ، الذي تعتبره إسرائيل تهديداً لمشروعها في الري : إنه لاتوجد أية مبادرة عربية تستطيع منع إسرائيل من أن تصل بنسميتها الاقتصادية إلى غايتها نظراً لأهمية تحقيقها البالغة » . ويتابع مراسل اللوموند خبره قائلاً :

★ الأهرام ٢١ إيلول ١٩٦٢

« . . لكن يجب أن لانسى أن أعمال الري الرامية إلى إستخدام مياه النهر لاتحدد فقط ضمن وادي الأردن » . والمقصود هنا طبعاً هو تحويل النهر إلى النقب . ويبرق المراسل المذكور خبراً آخر إلى جريدته في الثلاثين من تشرين الأول ، فيقول : « . . أعلمت إسرائيل الدول الكبرى بالطرق الدبلوماسية ، أن كل تدخل عربي ضد المشروع الاسرائيلي على الأردن ، سوف يعتبر كعدوان ، وأن حكومة إسرائيل في هذه الحالة ستحتفظ بحقها في التصرف على ضوء ما يحدث . ونشر هذا الاعلام يوم الاثنين في صحافة تل أبيب التي تعتمد على مصادر حسنة الاطلاع . . . ومع ذلك فإن كل عربي يفكر ويقول : سوف لن نترك أحداً يمس مياه نهر الأردن ★ » . انتهى قول مراسل لوموند . ولكن العربي بكل أسف بسبب ظروفه القاهرة لم يستطع ، وهو من اشتهر بالوفاء ، أن يفي بهذا الوعد . وتنادى الرؤساء العرب إلى الاجتماع في القاهرة في مطلع عام ١٩٦٤ لبحث مسألة تحويل المياه العربية إلى الأراضي خارج فلسطين المحتلة . وكان الذي تقرر بهذا الاجتماع :

١ . تحويل بانياس إلى الأراضي السورية .

٢ . تحويل الحاصباني في الأراضي اللبنانية .

٣ . إقتسام مياه اليرموك بين سورية والأردن ، وتوليد الطاقة الكهربائية على هذا النهر . وابتدأت الأعمال برئاسة المهندس السوري صبحي كحالة . ونقلت المعدات إلى ساحات العمل . وأطلقت إسرائيل تهديداتها ، فقال ليفي أشكول : « ليس للبنان شأن في مشاريع تحويل المياه وإلا فإن هذا الموضوع سيكلفه إستقلاله . . . » . وفي ٢٦ / ٣ / ١٩٦٥ هدد موشي دايان باستعمال القوى العسكرية لمنع العرب من تحويل مجاري مياههم وفي ١٤ / ٧ / ١٩٦٥ هدد إسحق رابين لبنان وحمله مسؤولية ماسيقع في حالة إستمراره في عمليات التحويل .

★ نقلته الانسة غواشون في بحثها الآنف الذكر ص ١٧٢ .

وماوقف الأمر عند إطلاق عبارات التهديد . فقد أخذت إسرائيل تشن الهجمات تلو الهجمات على ورشات العمل ، وعلى الآليات ، بمدفعيتها وطيرانها وبكل الوسائل الأخرى :

ـ في ١٧ و١٨ / ٢ / ١٩٦٤ قامت إسرائيل بهجوم على الحدود السورية .

ـ في ٧ / ٣ / ١٩٦٤ جرى حشد جيوش إسرائيلية على الحدود السورية وأعقبه عدوان علينا .

ـ في ١٣ / ٥ / ١٩٦٤ وقع هجوم على مراكز تحويل المياه في سورية .

ـ وقعت أربع عشرة هجمة إسرائيلية على الحدود السورية خلال شهر واحد بين ٧ / ١٠ و١٢ / ١١ / ١٩٦٤ .

ـ في ١٣ / ١١ / ١٩٦٤ ألقت الطائرات الصهيونية قنابل النابالم على ورشات العمل في مراكز التحويل .

ـ في ٦ و١٥ و١٧ و١٨ و٢٢ / ٥ / ١٩٦٥ هاجمت القوات الاسرائيلية مناطق التحويل في سورية والأردن .

وقد تجمدت عمليات التحويل الآنفة الذكر ، نتيجة للموقف السلبي للعرب ، واقتصارهم على رفع الشكاوى إلى الأمم المتحدة ، واستسلام إرادتهم ، على الأخص ، وضعفها أمام « عمليات التنويم المغناطيسي » التي كانت تمارسها عليهم الولايات المتحدة الأمريكية ، التي كانت تعد العدة لليوم الفاجع ، وتهيىء في البنتاغون تفاصيل عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ . يقول إيغال آلون أحد منظري المرتزقة الصهاينة : « إن هضبة الجولان ولمنحدر جبل الشيخ أهمية حيوية ، لامن أجل الدفاع عن مستوطنات وادي الحولة ضد الرمايات السورية فحسب ، وإنما أيضاً لحاجات إسرائيل الاستراتيجية الشاملة في الاشراف على الجولان . فهذا الأمر يتعلق بالدفاع عن الموارد الأساسية لمياهنا ، وبالدفاع عن الجليل الأعلى والأسفل ، وبالدفاع عن الأردن الأعلى والأوسط (وادي الحولة ،

وبحيرة كنريت [طبريا بالعبرية] والوديان المحيطة بها ، ووادي بيسان) ★ » .

وبعد ، فكم بهمنا مع غيرنا إلى الأهمية الحاسمة للمياه لقيام إسرائيل ، ورددنا القول طويلاً بأن مطامع العدو في الجولان وجبل الشيخ والجنوب اللبناني قائمة وواضحة بأفواههم ومطالبهم منذ أن بدأت وفودهم تصل إلى فلسطين في أواخر القرن الماضي . ولكن تلك النداءات كانت تذهب بكل أسف كصرخة في واد ، وتحاط بالصمت واللامبالاة المجرمين ، وبالاصغاء الخائن « للنصائح الكاذبة » للأمريكيين .

★ إسرائيل : الكفاح والأمل . ترجمة مكتب دراسات فتح ص ١٢٤ .

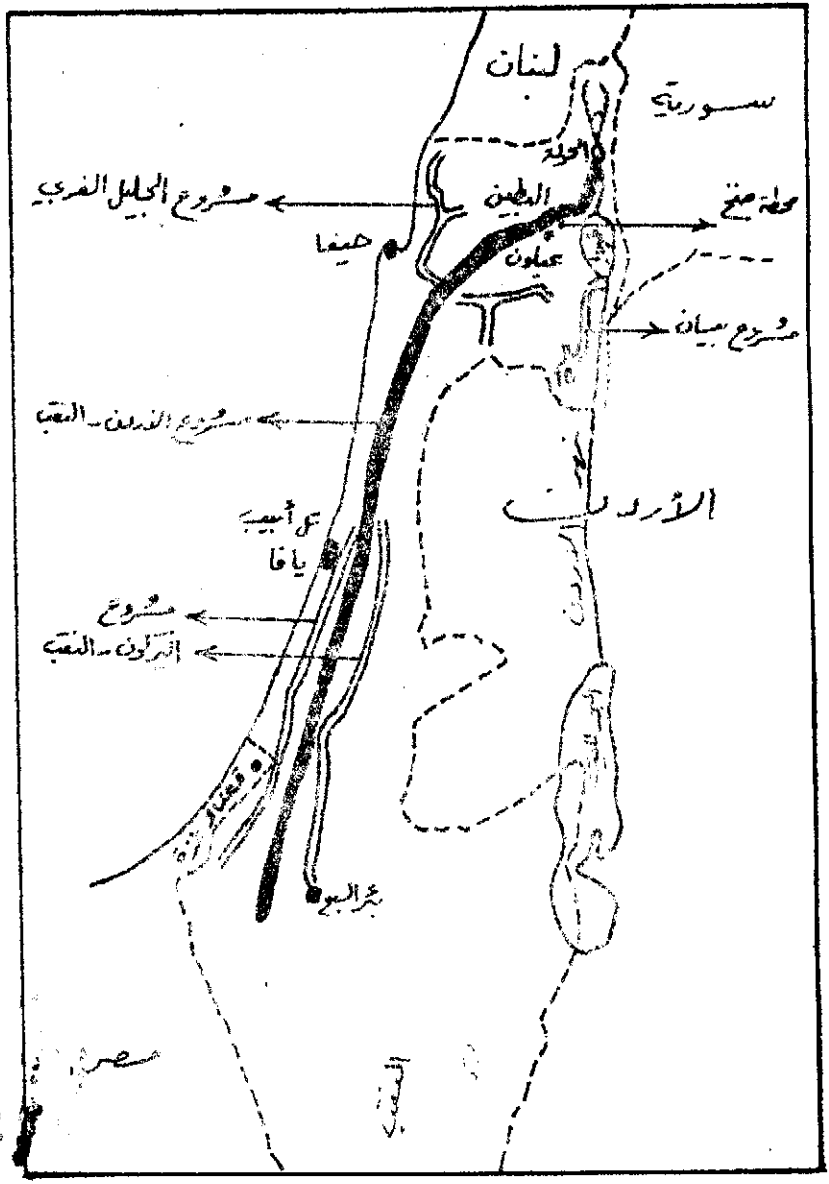

مشاريع الري الاسرائيلية

مياه فلسطين وما حولها

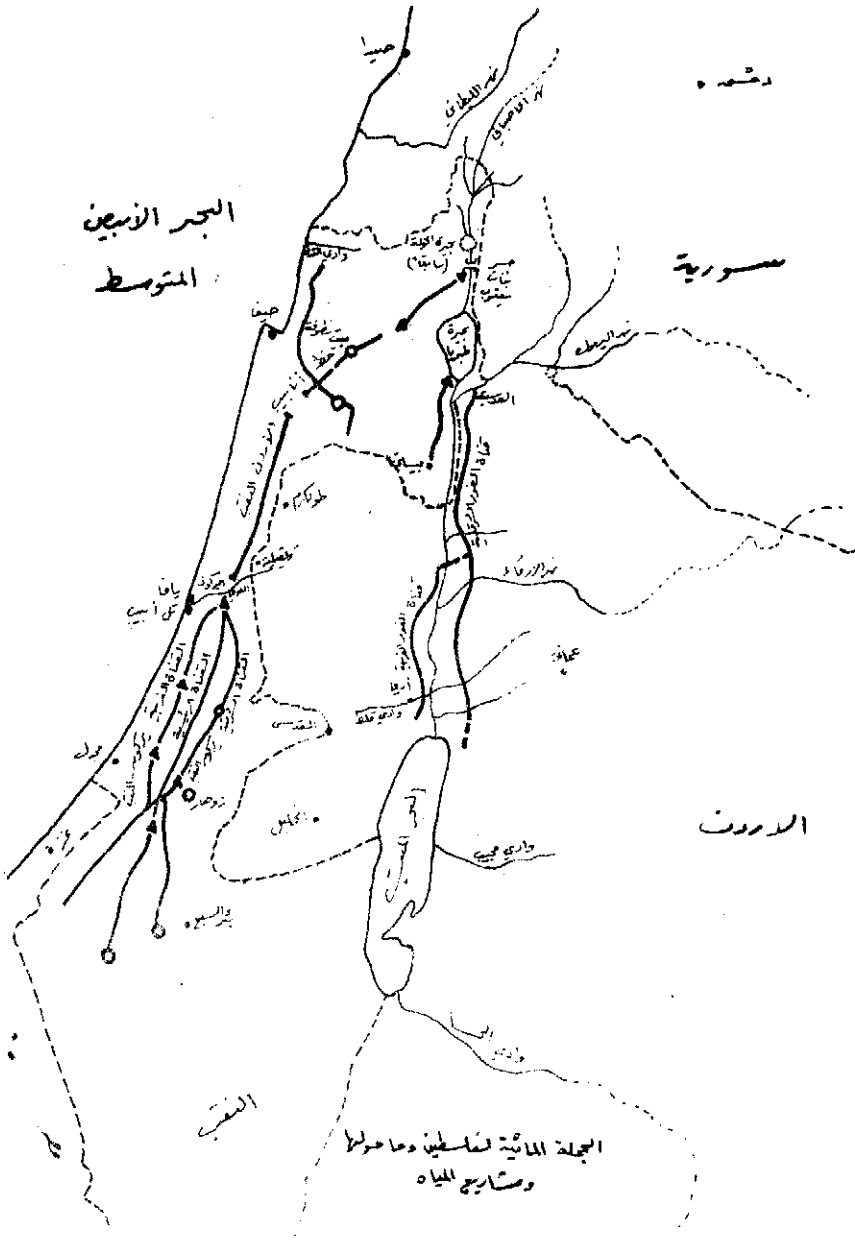
البحر الأبيض
المتوسط
سورية
الأردن
مصر
دمشق
حيفا
يافا
تل أبيب
غزة
بئر السبع
الخليل
أريحا
عمان
البحر الميت
وادي عربة
النقب
المجلة المائية لفلسطين وما حولها
ومشاريع المياه

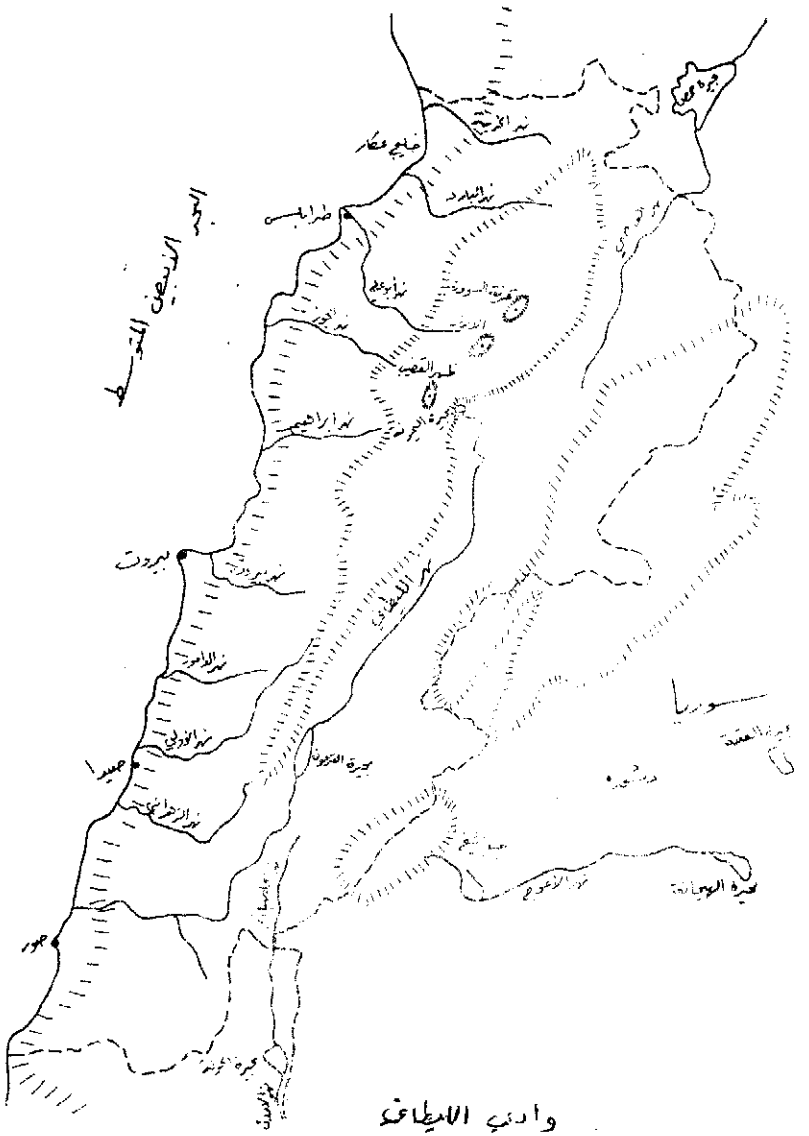
البحر الأبيض المتوسط
طرابلس
بيروت
صيدا
صور
سوريا
وادي الليطاني